جمهورية العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج

القُرآنُ الكَرِيمُ والتَربِيةُ الإسلَامِيةُ

للصفِ الخامس الاعدادي

تأليف

لجنة متخصصة في وزارة التربية

الطبعة الخامسة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المشرفُ العلميّ على الطبع

وسام شهاب مهدي

المشرفُ الفني على الطبع

صلاح سعد محسن

استنادا الى القانون يوزع مجانا ويمنع بيعه وتداوله في الاسواق

التصميم

شيماء عبد السادة كاظم

الموقع والصفحة الرسمية للمديرية العامة للمناهج

www.manahj.edu.iq
manahjb@yahoo.com
Info@manahj.edu.iq
manahjb
manahj

المديرية العامة للمناهج
قسم التحضير الطباعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ، ثم الحمد لله ربّ العالمين الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين . نبينا الأمين محمد الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

وأما بعد : فلا يخفى على مدرّسي التربية الإسلامية ومدرساتها، ما للدين الإسلامي، ديننا القويم، الذي أنهض أمة، وشيّد حضارة، من أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع. فهو الدعامة الروحيّة التي يقوم عليها تقدمهما وسعادتهما .وهو الأساس والركن الركين الذي يُعتمد عليه للنهوض بالحياة في تفاصيلها ومفاصلها كافة.

ولأن مادة التربية الإسلامية هي السبيل الأمثل لعكس أركان هذا الدين العظيم وقيمه السامية من خلال العملية التربوية، فقد سعت وزارة التربية إلى الاعتناء بالتربية الإسلامية مادة وكتاباً، لجعلها رفيعة المستوى والمضمون، وجعلها أيسر تناولاً، وأقل تعقيداً، وأكثر قبولاً ونفعا، إذ نضع بين أيديكم كتب التربية الإسلامية للمرحلة الإعدادية في حلّة جديدة فيها من الإغناء، والإثراء والتيسير وبمايتناسب مع احتياجات طلبتنا الأعزاء وميولهم ويرتبط بواقع الحياة .

فقد تم دمج مادتي القرآن الكريم والتربية الإسلامية، في كتاب واحد مُيسر في خمس وحدات ضمت كل وحدة منها مباحث رئيسة كان في الرأس منها التبارك بالقرآن الكريم الذي تمّ الاعتناء التام بانتقاء نصوص شريفة منه مناسبة للمرحلة العمرية ثم الإيتاء بمعاني الكلمات، فالتفسير العام، فملخص لأهم مايرشد إليه النص، فضلا عن المناقشة.

وقد أعقب ذلك دروس في الحديث النبوي الشريف، وقصص من القرآن الكريم، والأبحاث، ثمّ التهذيب، وقد أكدت المحاور جميعاً الأسس القويمة لبناء الشخصية الإسلامية السويّة الملتزمة بمبادىء الإسلام العظيم وقيمه ،البعيدة عن روح التطرف المقيت.

إننا نرجو إخواننا وأخواتنا إغناء مباحث كتب التربية الإسلامية عند تدرييسهم لها بالتوضيح والتعليق وضرب الأمثلة من حياتنا وواقعنا قدر مايتطلب الأمر، مع ضرورة الإلتزام بإضفاء الهيبة والوقار اللّذين يتناسبان ومكانة التربية الإسلامية، وشرف الغاية المرجوة منها .

ونختتم بالإشارة إلى أننا لاندّعي الكمال بعملنا هذا، فهو خصوصية لله مالك الملك العظيم، ولذلك نسعد بملاحظاتكم وآرائكم للارتقاء به خدمة للدين .

وندعو من لا ربّ غيره ولاخير إلّا خيره أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، فهو نعم المولى، ونعم النصير .

اللجنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحكام التلاوة

إدغام المتماثلين

هو إدغام حرفين متفقين مخرجاً وصفة، أي أن الحرف الأول الساكن يماثل الحرف الثاني المتحرك فيصيران حرفاً واحداً مشدّداً.

مثال

الميم مع الميم	لهمْ ما يشاؤون	لهمّا يشاؤون
الكاف مع الكاف	يدركْكُم	يدرِكُّم
اللام مع اللام	اجعلْ لنا	اجعلّنا
الباء مع الباء	اضربْ بعصاك	اضربّعصاك
الدال مع الدال	قدْ دَخلوا	قدّخلوا
النون مع النون	لن نشرك	لنّشرك

ويستثنى الواو مع الواو والياء مع الياء

مثال

﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾ الناس:٥

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ البقرة: ٢٥

إدغام المتجانسين

هو إدغام حرفين متفقين مخرجاً ومختلفين صفة، فيقلب الحرف الأول الساكن إلى جنس الحرف الثاني المتحرك ليُصبحا حرفاً واحداً مشدّداً كما هو الحال في إدغام المتماثلين.

مثال

الدال في التاء	قدْ تَبين	قتْ تَبين	قتّبين
الطاء في التاء	احطْتُ	احتْتُ	احتُّ
التاء في الطاء	همتْ طائفة	همطْ طائفة	همطّائفة
الذال مع الظاء	اذْ ظَلمتم	اظْ ظَلمتم	اظَّلمتم
الثاء مع الذال	يلهثْ ذلك	يلهذْ ذلك	يلهذّلك
الباء في الميم	اركبْ معنا	اركمْ معنا	اركمّعنا

إدغام المتقاربين

هو إدغام حرفين متقاربين مخرجاً وصفة فيقلب الحرف الأول الساكن إلى جنس الحرف الثاني المتحرك فيصبحان حرفاً واحداً مشدّداً كما هو الحال في إدغام المتماثلين

اللام في الراء	وقلْ رَبِّ	وقرْربِّ	وقرّبِّ
القاف في الكاف	ألم نخلقكم	ألم نخلكْكُم	نخلكّمُّ

مثال

استخرج الإدغام وبيّن نوعه في الآية الكريمة الآتية:

﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ يوسف: ٥١

الحل

الدال في كلمة (رَاوَدتُّنَّ) تدغم مع التاء ويسمى الإدغام إدغاماً متجانساً، والنون الساكنة في كلمة (عَنْ) تدغم مع النون المتحركة في كلمة (نَّفسهِ) إدغاماً متماثلاً.

تمرينات على إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين

عين إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين في الآيات الكريمة الآتية :

١- ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴾ البقرة: ٢٢٣

٢- ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٨

٣- ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ ﴾ المرسلات: ٢٠

٤- ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩ ﴾

آل عمران: ٦٩

٥- ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ الكهف: ١٧

٦- ﴿ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ الكهف: ٧٨

تمرينات

عين كل نوع من أنواع الإدغام الثلاثة في الآيات القرآنية الآتية ، ذاكراً السبب ؟

١- ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ
وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ الكهف: ١٦

٢- ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ
وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُ ﴾ الكهف: ١٧

٣- ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ ﴾ البقرة: ٦٠

٤- ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ البقرة: ٢٥٦

٥- ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ الزخرف: ٣٩

٦- ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ هود: ٤٢

٧- ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ الكهف: ٢٢

علامات الوقف ومصطلحات الضبط :

مـ تفيد لزوم الوقف

لا تفيد النهي عن الوقف

صلى تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف

قلى تفيد بأن الوقف أولى

ج تفيد جواز الوقف

∴ ∴ تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما

۟ للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به

۠ للدلالة على زيادة الحرف حين الوصل

ۡ للدلالة على سكون الحرف

ۢ للدلالة على وجوب الإقلاب

ً للدلالة على إظهار التنوين

ٌ للدلالة على الإدغام والإخفاء

ۤا للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتروكة

ۜ للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصاد

وإذا وضعت بالأسفل فالنطق بالصاد أشهر

ٓ للدلالة على لزوم المد الزائد

۩ للدلالة على موضع السجود ، أما كلمة وجوب السجود

فقد وضع تحتها خط

۞ للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها

۝ للدلالة على نهاية الآية ورقمها .

الوحدة الاولى

الدرس الأول : من القرآن الكريم

سورة المؤمنون من الآية (١-٥٠) آيات الحفظ (١-١١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ
٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ
مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧
وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ
مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ
ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ
فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا
فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠
وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا
وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ

وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ
بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا
فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ
عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ
عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ
﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا
مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ
﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم
مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ
بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا
كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا
لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ
﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا
لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾
فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ **صدق الله العلي العظيم**

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
اللغو :	ما لا نفع فيه من قول ، وما لا يرضى الله عنه .
السلالة :	استخراج الشيء من الشيء ، والولد سلالة أبيه ، لأنه انسلّ من ظهره .
مكين :	ثابت ، راسخ .
النطفة :	الحيوان المنوي (ماء الرجل) .
علقة :	دماً مجمداً .
مضغة :	قطعة لحم قدر ما يمضغ .
سبع طرائق :	سبع سماوات طباقاً .
صبغٍ للآكلين	إدام يغمس فيه الخبز .
الملأ :	الزعماء ووجوه القوم .
به جِنّة :	جنون .
فتربصوا به :	انتظروا واصبروا عليه .
بأعيننا :	برعايتنا وحفظنا .
فار التنور :	نبع الماء بكثرة من التنور الذي يخبز فيه .
هيهات :	بَعَد وقوع ذلك الموعود .
تترا :	متتابعين على فترات ، رسولاً بعد رسول .
عالين :	متكبّرين .
معين :	ماء جارٍ .

المعنى العام

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾ في هذه السورة المباركة بشرى للمؤمنين، فقد فاز المصدقون بالله وبرسوله العاملون بشرعه، الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة، ووصف الله تعالى هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفاتٍ من جمعها ثبت له الفلاح وأصبح من الذين يرثون الفردوس ويخلدون فيها ومن صفاتهم أنهم:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾ أي في صلاتهم خاشعون متذّللون خائفون، تفرغ لها قلوبهم، وتسكن جوارحهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ ﴾ فهم تاركون كلّ مالا خير فيه من الأقوال والأفعال والأفكار وما لا يرضى الله عنه.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾ والذين هم مطهّرون لنفوسهم وأموالهم بأداء زكاة أموالهم لمستحقيها.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ ﴾ والذين هم لفروجهم حافظون مما حرّم الله من الزنى واللّواط والفواحش كلّها. إلّا على زوجاتهم، أو ما ملكت أيمانهم من الإماء، فلا لوم عليهم ولا حرج لأن الله تعالى أحلهنّ.

﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ ﴾ فمن طلب غير الزوجات والمملوكات فهم من المعتدين المتجاوزين الحدّ في البغي والفساد، الذين سيعاقبهم الله تعالى لتجاوزهم الحلال إلى الحرام.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ ﴾ والذين هم حافظون لكل ما أؤتمنوا عليه موفون بكل عهودهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ ﴾ والذين يداومون على أداء صلاتهم في أوقاتها على هيئتها المشروعة، الواردة عن النبي الكريم بعيداً عن التكاسل والرياء.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾ هؤلاء المؤمنون هم الوارثون الجنة والمتنعمون بنعيمها. الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأواسطها، وهي أفضلها منزلاً، هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول.

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ ﴾ يبيّن الله تعالى كيف خلق الإنسان من العدم فلقد خلق الله تعالى (آدم) من طين، ونفخ فيه من روحه فكان بشراً سوياً، ثم جعل ذرية آدم وبنيه يتناسلون من نطفة الأب لتستقر في رحم الأم. ثم خلق النطفة علقة أي: دماً أحمر، فخلق العلقة بعد أربعين يوماً مضغة أي: قطعة لحم قدر ما يمضغ، فخلق المضغة الليّنة عظاماً، فكسى العظام لحماً، ثم أنشأه خلقاً آخر ينفخ الروح فيه، فتبارك الله الذي أحسن كلّ شيء خلقه. ثم إنكم أيها الناس بعد تلك النشأة والحياة لصائرون إلى الموت. وبعد الموت وانقضاء الدنيا تبعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ
فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا
فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠ ﴾

يقول تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا عن الخلق غافلين، فلا نغفل مخلوقاً ولا ننساه. وأنزلنا من السماء ماءٍ بقدر حاجة الخلائق، وجعلنا الأرض مستقراً لهذا الماء، ونحن قادرون على إذهابه وفي هذا تهديد ووعيد للظالمين. فأنشأنا بهذا الماء لكم بساتين النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه كثيرة الأنواع والأشكال، ومنها تأكلون. ومما أنشأنا لكم بالماء أيضاً شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل طور (سيناء)، يعصر منها الزيت الذي فيه منافع كثيرة كدهن، وإدام للآكلين.

﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا
وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢ ﴾ وإن لكم أيها الناس، في الإبل والبقر والغنم لعظة تتعظون بخلقها، نسقيكم مما في بطونها من اللبن، ولكم فيها منافع عديدة: تلبسون من أصوافها، وتركبون ظهورها، وتُحملون عليها الأثقال، ومنها تأكلون. وتحملون على الأبل في البرّ، كما تحملون على السفن في البحر.

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ
ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ

﴿أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ
فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ولقد أرسلنا نوحاً (ع) إلى قومه بدعوة التوحيد، قبلك يا رسول الله فكذبوه كما كذبك قومك، فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جلّ وعلا، فأخلِصوا له العبادة، أفلا تخشون عذابه؟ فكذبه أشراف قومه، وقالوا: ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلّا رجل من البشر يريد أن يطلب الرياسة والشرف عليكم بدعواه النبوة، ولو أراد الله أن يبعث رسولاً لبعث ملكاً من الملائكة. ما سمعنا هذا فيمن سبقنا من آباء واجداد، وما نوح إلّا رجل به مسّ من الجنون، فانتظروا واصبروا عليه مدة حتى يموت ولا تتركوا دينكم لأجله. وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلّا خمسين عاماً، يئس نوح (ع) من إيمانهم فشكاهم إلى الله تعالى. فقال نوح: ربّ انصرني على قومي بسبب تكذيبهم إياي. فأوحينا إلى نوح أن اصنع السفينة بمرأى منا وحفظنا وبأمرنا وتعليمنا. فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق فار الماء من التنور، فأدخِلْ في السفينة من كلّ الأحياء، ذكراً وأنثى، ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلّا من استحق العذاب لكفره كزوجتك وابنك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة. فإذا ركبت، أنت ومن معك من المؤمنين، على السفينة، أحمدوا الله على تخليصه إياكم من الغرق، ونجاتكم من القوم الكافرين. وقلْ: ربّ يسّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزلين لأوليائك والحافظين لعبادك. إنّ في نجاة المؤمنين وإهلاك الكافرين لدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله، وإن الله تعالى يختبر الأمم بإرسال الرُّسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم ليُرى الكافر من المؤمن فيجزي كل منهما بعدله ورحمته.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ثم أنشأنا من بعد قوم نوح جيلاً آخر يخلفونهم هم قوم (عاد). فأرسل الله تعالى فيهم رسولاً منهم هو هود (ع)، فقال: اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود غيره، ألا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟

وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة، وأطغاهم نعيم الدنيا من ترف العيش: ما هذا الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلّا بشرّ مثلكم يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم. ولئن أطعتموه وصدقتموه، وهو مثلكم، فإنكم لخاسرون حقاً.

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ كيف تصدقون بشراً مثلكم يعدكم به من أنكم إذا متم وصرتم تراباً وعظاماً مفتتة، تخرجون من قبوركم؟ بعيدٌ، بعيدٌ حقاً ما توعدون به، أيها القوم، من أنكم بعد موتكم تُخرجون وتبعثون أحياءً من قبوركم. ما هي إلّا حياتنا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء ، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى. وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلّا رجل كاذب يكذب على الله، ولسنا بمصدقين ما قاله لنا.

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ فدعا رسولهم ربّه قائلاً: ربّ انصرني عليهم بسبب تكذيبهم لي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك. وقال الله مجيباً لدعوته: عما قريب سيصيرون نادمين على كفرهم. فأخذتهم صيحة العذاب المدمر، أهلكهم الله بها فماتوا جميعاً، وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء، فسحقاً وهلاكاً لهم بكفرهم وظلمهم، وبعداً لهم من رحمة الله.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول تعالى ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أمما وخلائق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس (ع) جميعاً. ما تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لهلاكها، ولا تتأخر عنه. ثم أرسلنا رسلنا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضاً: كلما دعا رسول أمته كذبوه. فأتبعنا بعضهم بعضاً بالهلاك والدمار، ولم يبق إلا أخبار هلاكهم، وجعلناها أحاديث لمن بعدهم: يتخذ منها عبرة. فهلاكاً وسحقاً لقوم لا يصدقون الرسل ولا يطيعونهم.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

يقول تعالى في هذه الآيات ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون (ع) بآياتنا البينات التسع (العصا، اليد، الجراد، القمّل، الضفادع، الدم، الطوفان، السنون، ونقص من الثمرات) حجة بيّنة تنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم بها الحجة على المعاندين، أرسلناهما إلى فرعون وأشراف قومه المتكبرين. فقالوا: أنصدّق رجلين مثلنا، وقومهما من بني إسرائيل تحت إمرتنا مطيعين لنا؟ فكذّبوهما فيما جاءا به، فكانوا من المغرقين في البحر. وجعلنا عيسى بن مريم وأمّه (ع) معجزة عظيمة تدلّ على كمال قدرتنا، إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لهما مأوى في مكان مرتفع من الأرض، خصبة وفيها ماء جار ظاهر.

أهم ما يُرشد إليهِ النص

١- يبشر الله تعالى المؤمنين الخاشعين في صلاتهم، والمعرضين عن الكذب والشتم والهزل، المؤدين زكاة أموالهم. الحافظين فروجهم عن الحرام، بأنهم الفائزون السعداء.

٢- إنّ الذين لا يخونون إذا ائتمنوا، ولا ينقضون عهدهم إذا عاهدوا، والذين يواظبون على الصلوات الخمس، أولئك جميعاً هم الجديرون بوراثة جنة النعيم لا يخرجون منها أبداً.

٣- إن الله هو المحيي وهو المميت وهو الباعث المعيد.

٤- إن الله خالق السموات السبع، وهو منزل القطر والمطر، وخالق الأنعام وغير ذلك من فضله العميم سبحانه.

٥- إن ذكر قصص الأنبياء السابقين تعزية لرسول الله (ص) ليتأسى بهم في صبره، وليعلم أن الرُّسل قبله قد كُذبوا كما كذَّبه قومه.

٦- تأكيد بقاء المشركين على عنادهم - بإختلاف الأزمان -.

٧- إن رسل الله واتباعهم ممن آمن بهم محفوظون بأمر الله ورعايته، وأعداؤهم هالكون.

٨- أن دعاء الأنبياء (ع) لا يُرد.

٩- إن دلائل قدرة الله على إعادة الأمم والخلائق بعد إماتتهم، واضحة بينة بالأدلة والبراهين.

المناقشة

١- ربطت الآيات الكريمة فلاح المؤمنين بسلسلة من المتطلبات التي يجب على المؤمن الإيفاء بها، ما هي؟

٢- كُررت لفظة الصلاة في الآية الثانية، والآية التاسعة، وذكرهما ليس تكراراً وإنما هو شيء مختلف. ما وجه هذا الاختلاف؟

٣- ذُكرت (الجنة) هنا بوصف آخر، ما هو؟ وما الأسماء الأخر للجنَّة التي وردت في القرآن الكريم؟

٤- اذكر سلسلة خلق الإنسان، ثم بيّن صفات كلّ طور من أطوار الخلق العظيم.

٥- ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾، ابحث في القرآن الكريم عن أية إشارة لأسماء الفواكه في الجنة. ثبتّها رقماً ومكاناً.

٦- عاقب الله تعالى قوم نوح (ع) وقوم هود (ع)، فما كانت عقوبة كلّ منهما؟

٧- ما الدلالة على كمال قدرة الله في خلق عيسى (ع)؟

٨- ما الاتهامات التي يطلقها الكفار على الرُّسل؟ استشهد على ذلك.

٩- ذكر القرآن الكريم أمثلة على كفار مكة من المكذبين من الأمم السابقة، وما نالهم من العذاب. اشرح هذه الأمثلة بإيجاز، وبيان العبرة المستقاة منها.

١٠- الله - سبحانه وتعالى - يختبر عباده بابتلائهم. اذكر نماذج من هذه الابتلاءات.

١١- ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾، وهي صيحة العذاب المدمر التي تعد نهاية معاملة أهل الكفر، وإصرارهم على الضلال. هناك آيات أخرى تضمنت عقوبات شملت أمما كثيرة. دلّ عليها مع ذكر السورة والآية.

١٢- في القرآن الكريم معجزات عظيمة تدل على كمال قدرة الخالق. أذكر خمساً من هذه المعجزات مع شرح مختصر وافٍ، وإشارة إلى السورة والآيات.

الدرس الثاني : من الحديث النبوي الشريف

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال رسول الله (ص) :

(مَنْ رَأى مِنْكُم مُنْكراً فَلْيغيِّرهُ بيدِه، فَإنْ لَمْ يستطع فَبِلسانهِ، فإنْ لَمْ يَستطعْ فبقلْبِهِ، وَذَلك أضعفُ الإيمان.) صدق رسول الله (ص)

المعنى العام

١- في كلّ مجتمع نوعان من الناس : عاقلٌ رشيد تصدر أعماله النافعة عن دين وعلم وتجربة، ومقصِّر يقع في الزلل فيضرّ الآخرين إما جهلاً وإما استخفافاً وسوء أدب.

فإذا تُرك المقصر بغير نُصح وإرشاد أساء إلى نفسه وإلى المجتمع، وإذا وجِدَ الناصحُ الأمين الذي يعلم الجاهلَ ويرشد المقصِّر تحقق بذلك سلامتهُ وسلامة المجتمع. فكم من نفس تنبهتْ بعد غفلةٍ فأقلعت عن المعاصي، وكم من قلبٍ استنار بالنصيحة بعد ظلمة.

٢- واذا أهمل العقلاءُ النصح والإرشادَ تَمادى الجهلاءُ والمفسدون في غيّهم وكثرت المفاسدُ والشرور، واستشرى البغيُ، والظلمُ، وأُهمِلت الفضائل واستبدَّ الحُكام، وعمَّت الفتن، ولا يقتصر الضرُّ على المفسدين بل يشملهم وغيرهم.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ الأنفال : ٢٥

٣- حديث الرسول (ص) هو خطاب لجميع الأمة، فإن من رأى بعينه منكراً أو علم به فإن مقتضيات الإيمان القوي توجبُ عليه إزالة ذلك المنكر بيده إن تيسَّر له ذلك لسلطةٍ يملكها أو حكمٍ يقوم به أو جاهٍ يساعده في ذلك.

فإن لم يستطع تغييره بيده خشية وقوع ضرر وأذى رفض المنكر وسعى إلى تغييره بلسانه بأن يقول لفاعله إنه منكر وإن عليه أن يُقلعَ عنه، ويأخذ بتوبيخه وتذكيره بالله وأليم عقابه مرة باللين ومرة بالشدّة ويستدل بما يؤكّد كلامه من أدلة الشرع. فإن ضعفت روح الدين وفشت المنكرات وكُبتت الحريات في أي مجال فلينكر المنكَر بقلبه بأن يكره ذلك ويكره فاعله، ويتوجه إلى الله بالاستغفار منه ويعزم أن لو قدر عليه بقول أو فعل لأزاله، لانه يجب كراهة المعصية، فالراضي بها شريك لفاعلها، وهذا الإنكار يسمى الإنكار القلبي وهو أضعف الإيمان وأقله ثمرة، فإن من شأن المسلم أن يكون قوي الإيمان يقول الحقّ أينما كان، ولا يخاف في الله لومة لائم، وفي الحديث الشريف: (المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير). واذا كان الإنكار دليلاً على ضعف الإيمان فإن عدم انكار القلب للمنكر دليل على موت الإيمان وذهابه منه.

وإذا ساد المنكر في المجتمع، ولم يجد مَن يردعه، أو يوقفه، حينها لن يتقبّل الله تعالى من الناس دعاء، وأوشك أن يعمَّهم الله بالعذاب.

أهم ما يُرشد إليهِ الحديث

١- هذا الحديث من دعائم الإِسلام لأنهُ يلقي مسؤولية إصلاح المجتمع على كلِّ فرد، ويحمِّله مسؤولية العمل على تنظيف مجتمعه من المفاسد والرذائل وإزالتها بالوسيلة الممكنة، ويحثُّ على بناء المجتمع السعيد.

٢- دعوة الإِسلام إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هي دعوة إلى الإِصلاح ونهي عن الإِفساد لتنظيم حياة المجتمع، وليطمئنّ كلّ على نفسه وماله وعرضه وكرامته، وفي هذا تحقيق للأخوّة، وتوثيق للرابطة القوية بين أبناء المجتمع وتوجيههم إلى غاية واحدة وهدف مشترك واحد، وتجنيبهم الفرقة واختلاف الأهواء والنزعات.

٣- وإذا كان لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه الآثار البعيدة المدى في حياة الأمة، فإِن لاهمالها والاستهانة بها آثاراً عكسية من الاستخفاف بالدين والتنكر للعقائد أو الاستهتار بالأخلاق والتهوين من شأنِ الفضائل والخروج عن العُرف الصالح والابتعاد عن العادات الحسنة. حينها سيعمّ العذاب الجميع.

المناقشة

١- (إصلاح المجتمع واجب على كلّ فرد) فكيف نقوم بهذه المسؤولية؟

٢- متى تعمّ الفتنةَ الأمم؟ وما السبيل لتجنبها؟

٣- (دعا الإِسلام إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) اشرح ذلك؟

٤- كيف يستطيع المسلم أن يُصلحَ المسيءَ؟

النبي يحيى بن زكريا (ع)

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٩ - ٩٠

لم يرزق نبي الله زكريا (ع) ذرية، فاشتدَّ حزنه فسأل الله تعالى أن يرزقه ولداً وألحَّ في الدعاء، وما ان أتم زكريا دعاءه الخفي لرّبه، وفيما هو في محرابه، فوجئ بالإجابة تأتي بسرعة كبيرة من رحمة الله ولطفه بعباده المخلصين: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ نعم لقد ناداه جبريل (ع) وأبلغه البشرى المباركة فقال له: (ان الله يبشرك بيحيى) قال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ ما أكرم هذه البشرى! وما أجلُّ البشير! وما أطيب الغلام، فالله سبحانه وتعالى لم يعطه الولد الذي أراده حسب، بل سمّاه له هو سبحانه، واختار له اسماً من عنده، لم يُسمِّ أحد قبله باسم يحيى، ولم يترك تسميته لوالديه، فهو أسم غير مسبوق فقال له: ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ وقد ذكر اسمه في القرآن الكريم مرات عديدة منها:

١- ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ٣٩

٢- ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ مريم: ٧

٣- ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

مريم: ١٢ - ١٥

كان يحيى (ع) حسن الوجه ومن صفاته أنه كان ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ كان مصدقاً بنبيّ الله عيسى (ع) فهو أول من آمن برسالته وكان سيداً في قومه بعلمه وخلقه، وكان يحبس نفسه عن الشهوات زاهداً منقطعاً لله عز وجل. وعندما كبر وبلغ السنّ الذي يُؤمر فيه، أمره الله سبحانه بأن يأخذ التوراة، بجد وقوة فقال له: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ وكذلك أعطاه الله الحكمة والحكم ورجاحة العقل منذ الصغر قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾.

فقد يجوز أن يُعطى الحكم ابن اربعين سنة ويجوز أن يعطي الصبي. وكان يحيى بما آتاه الله من فضل وخلق ودين، مظهراً من مظاهر رحمة الله بعباده وتزكية له، وكان تقياً يخاف الله ويبرّ والديه ولم يكن متكبراً عاصياً لأمر ربه، ولذلك حيّاه الله بالسلام، تحية من يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، فهو في كل هذه المواطن في رعاية الله وأمنه وأمانه.

وابتدأت محنة يحيى (ع) حين سمع (هيرودس الأصغر) أحد ملوك الرومان بأمر نبي الله يحيى وعرف حبّ اليهود إياه وأدرك التفاف الناس حوله. فتوجه هيرودس بكل مكره وطيشه وبطشه إلى يحيى طالباً منه أن يفتي بزواجه من إحدى النساء التي يحرم عليه الزواج بها وأرسل لذلك الرُّسل، ليحصلوا له من يحيى (ع) على فتوى باطلة، لكن يحيى (ع) أبى إباء شديداً، ورفض أن يوافق للملك على ما ليس له بحق، إلاّ أن الملك ازداد اصراراً، وهدد يحيى وأوعده حتى إذا يئس ولم ينل منه ما يريد أمر بالقائه في غياهب السجن، ولبث يحيى (ع) في السجن وظنَّ الملك أنّ يحيى سيغير موقفه إذا قاسى مرارة السجن وعذابه.

لكن يحيى ازداد اصراراً ولم يذعن لرغبة الملك بل بقى متمسكاً بالحقّ لا يحيد عنه ابداً ممتثلاً أمر الله تعالى إياه:

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾.

فيحيى (ع) أقوى إيماناً من أن تنال منه مكائد الشيطان، فلم يذعن لما يريدان وسعى الملك وتلك المرأة العاصية إلى كل وسيلة للحصول على موافقة يحيى (ع) على الزواج الباطل.

وفي ذات يوم وكان قصر الملك مزدحماً بالضيوف في العيد، وقد أسرف الجميع في الأكل والشرب دخلت سالومي على الملك وقالت له سأتزوجك من دون فتوى لكن مهري هو رأس يحيى (ع)، وسرعان ما استجاب الملك لها لشدة تعلقه بها.

فقال لأحد حراسه: اذهب الى السجن، واقتل يحيى واحضر لنا رأسه! فانطلق الحارس شاهراً سيفه. ودخل زنزانة يحيى (ع) فهوى عليه بضربة سيف واحدة خاطفة.. وعاد الحارس يعدو وسيفه يقطر دماً زكياً، وكان يحمل رأس يحيى (ع) في طبق من نحاس.

ثم تقّدم الحارس ووضع الطبق. أمام الملك الطاغي ومعشوقته الآثمة لتكون دماء الأنبياء والأولياء رخيصة في مواجهة الباطل والطغاة والبغاة، وسيكون الحساب عظيماً وعسيراً في الدار الآخرة، لقد ثبت يحيى (ع)على إيمانه ولم يتزحزح عنه، ورحل إلى الله شهيداً مضرجاً بدمه.

قال الإمام علي بن الحسين (ع): خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا وذكر يحيى بن زكريا (ع) وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله عزّ وجل أن رأس يحيى بن زكريا أُهْدي إلى بغيٍ من بغايا بني إسرائيل.

ولئن يقتل الشهداء في سبيل الله، فان ذكرهم يبقى خالداً وهم الاحياء، وإن لم نشعر بهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

البقرة: ١٥٤

أهم الدروس والعبر في هذه القصة

١- الثبات على الإِيمان والثبات على المبدأ مهما كانت التحديات.

٢- أنّ الله سبحانه وتعالى كما يخصّ عباده المخلصين بالمواهب، وهم في مرحلة الشباب أو الكهولة، فإِن حكمته سبحانه قد تفضي بمنحهم المواهب والكرامات وهم في سن الطفولة والصبا وتكون لهم قدرة واستعداد على التذكير والتوجيه والإِرشاد والقيادة.

٣- أن أنبياء الله هم الأسوة لنا في حياتنا، فالنبّي يحيى (ع) كان زاهداً، تقياً، مجتنباً للمعاصي صائناً لنفسه عن ملذات الحياة الدنيا، مستجيباً لطاعة الله، منتهجاً شريعته الغراء، وفي الوقت نفسه كان بآراً بوالديه محسناً لهما، وبهذا استحقّ هذه المنزلة عند ربّهِ والسيادة على قومه.

٤- يُـفاد من قصة يحيى (ع) ان أتقى الناس وأشرفهم وأكرمهم عند الله تعالى قد يّقتلون بيد الأشقياء والأشرار، فتُحرم الأمم من بركاتهم وعطاءاتهم وأنوارهم بطغيان هؤلاء الظالمين واستهانتهم بأرواح الأبرار.

فالنبيّ يحيى (ع) قُتل بيد هذا الحاكم الظالم، وأهدى رأسه إلى بغي من البغايا استجابة لنزوة شيطانية تافهة، وحقد أعمى.

وما أشبه الذي جرى على سبط رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (ع) بما جرى ليحيى (ع)، إذ قُتل السبط (ع) بيد أحد الفجرة، وأهدي رأسه إلى لعين ناكر للوحي والنبوة على رؤوس الأشهاد. إذ تمثل بهذا البيت الطافح بالكفر.

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل

لكن الأخرة هي دار القرار، التي يجازى فيها العباد، فيقتص الله من الظلمة ومن قتلة الأنبياء والأولياء كما يتبعهم العار في هذه الدنيا جزاء أفعالهم وجرائمهم ويدخل الله أهل الحق والإيمان جناته.

المناقشة

١- ما الدعاء الخفيّ الذي ناجى به زكريا ربّه واستجاب له؟

٢- تكلّم على صفات يحيى (ع) في الخَلق والأخلاق.

٣- كيف أعطي الحكم وهو صبيّ؟ استشهد بآيات قرآنية.

٤- تكلّم عن محنة يحيى (ع) مع الملك الظالم.

٥- استشهاد يحيى (ع) تذكرنا بقصة أحد الأئمة الأطهار، ناقش ذلك.

الشهيد

١ - الشهيد في اللغة

هو اسم مشتق من الفعل شهد بمعنى حضر والشهيد صفة مشبهة من اسم الفاعل على وزن (فعيل) وهو الحاضر الذي حضر مع المعاينة.

الشهيد في الاصطلاح الشرعي

هو كلُّ مسلم قتل في سبيل الله تعالى، ومعنى ذلك أنَّ هذا الرجل المسلم قتل بغير حق حين كان ينشر دينه ويدافع عما أوجب الله تعالى الدفاع عنه من عقيدة أو مالٍ أو أرض أو عرض أو أهلٍ أو كلِّ ما يدخل ضمن حقوق الفرد المسلم.

نظرة الدين الإسلامي إلى الشهيد

شرّع الإسلام الجهاد إعلاءً لكلمة الله وتمكيناً للحق وتثبيتاً لدينه قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٥

وقال سبحانه:

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ الحج: ٧٨

وفي الجهاد ألوان من العبادات كالزهدِ في الدنيا، ومفارقة الأهل وهجرة الرغبات في سبيل الله وفيه التضحية بالنفس والمال وبيعهما لله وهو ثمرة من ثمراتِ الحبّ والإِيمان وفيه اليقين والتوكل على الله تعالى.

وقد عظّمَ الإِسلام أمر الجهاد وورد ذكره والدعوة إليه في عامة السور المدنية وذمّ التاركينَ له والمُعرِضين عنه ووصفهم بالنفاق ومرض القلب.

ويترتّب على الجهاد من أجل الدين والمال والنفس والأهل والأرض والعرض أنّ منْ يقتل في المعركة من هؤلاء المجاهدين يُعدّ شهيداً.

وقد جعل الإِسلام للشهداء منزلةً عظيمةً فهم أحياءٌ يرزقهم الله من رزقهِ قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ آل عمران: ١٦٩

ومن الأصناف الذين تُغفر سيئاتهم كل من قُتل في سبيل إعلاءِ كلمة الله قال تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٩٥

وللشهداءِ الأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى وجزاؤهم الجنة، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ الحديد: ١٩

والآيات والأحاديث في بيان منزلة الشهيدِ عند الله تعالى كثيرة جداً فقدْ روي أن أم حارثة بنت سراقة، أتت النبيَّ (ص) فقالت له:

يا رسول الله الا تحدثني عن حارثة – وكان قُتِل يوم بدر –فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء.

فقال (ص) يا أمّ حارثة: (إنها جنانٌ في الجنة، وإنَّ ابنك أصابَ الفردوس الأعلى).

هكذا كان المسلمون الأوائل يتشوقون إلى الشهادة لما أعطى الله عزَّ وجلَّ للشهيد من عزّة ومنزلةٍ رفيعة. وهكذا أعزَّ الإسلام الشهداء أيّما إعزاز وجعلهم في المكانة اللائقة بهم.

المناقشة

١– لماذا شرّع الإسلام الجهاد؟

٢– ما المنزلةُ التي أعطاها الله تعالى للشهيد؟

٣– (يجاهد المسلم في سبيل الله بأمواله ونفسه) ما أثر ذلك في الحفاظ على وجود المجتمع الإسلامي؟

الدرس الخامس: التهذيب

قصص وعبر

١-الكفاف

مرّ رسول اللّه (ص) براعي إبل، فبعث يستسقيه، فقال الراعي: أمّا ما في ضروعها فصبوح الحيّ، وأمّا ما في آنيتها فغبوقهم ، فقال رسول اللّه (ص): اللهمّ أكثر ماله وولده، ثمّ مرّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه، فحلب له ما في ضروعها وأكفأها في إناء رسول اللّه (ص)، وبعث إليه بشاة وقال: هذا ما عندنا، وإن أحببت أن نزيدك زدناك، قال : فقال رسول اللّه (ص): اللهمّ ارزقه الكفاف .

فقال له بعض أصحابه: يارسول اللّه دعوت للذّي ردّك بدعاء -جميعنا- نحبّه ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه، فقال رسول اللّه (ص): إنّ ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى ، اللهمّ ارزق محمّدا وآل محمّد الكفاف.

الكفاف: هو الغنى عن سؤال الناس وحفظ ماء الوجه وسدّ الحاجة من الرزق.

المناقشة

١. مامعنى القصة ؟

٢. ابحث في مختار الصحاح أو أي معجم للغة العربية عن معنى مايأتي: صبوح الحي، غبوقهم .

٣. مامعنى الكفاف؟

٤. علّل قول رسول اللّه (ص): (إنّ ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، اللهمّ ارزق محمّدا وآل محمّد الكفاف).

٥. أي الراعيين أفضل؟ ولماذا ؟

٦. أي دعاء كان أفضل؟ ولماذا؟

٢- حبّ الدنيا وعبادة الطاغوت

عن الامام جعفر الصادق (ع) قال :

مرّ عيسى بن مريم (ع) على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابّها فقال : أما إنّهم لم يموتوا إلاّ بسخطه، ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا ، فقال الحواريّون : ياروح اللّه وكلمته ادع اللّه أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها. فدعا عيسى (ع) ربّه، فنودي؛ أن نادهم، فقام عيسى (ع) بالليل على شرف من الأرض* فقال عيسى (ع) : يا أهل هذه القرية.. ، فأجابه منهم مجيب : لبّيك ياروح اللّه وكلمته .

فقال له عيسى (ع) : ويحكم ما كانت أعمالكم؟

فأجابه : حبُّ الدنيا وعبادة الطاغوت، مع خوف قليل، وأمل بعيد، في غفلة ولهو ولعب.

فقال عيسى : كيف كان حبّكم للدنيا ؟

قال : كحبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا ، وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنّا.

قال عيسى (ع) : وكيف كان عبادتكم للطاغوت ؟

قال : الطاعة لأهل المعاصي .

ثم قال عيسى (ع) : كيف كانت عاقبة أمركم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية .

فقال عيسى (ع) : وما الهاوية ؟ قال : سجّين، قال : وما سجّين ؟

قال : جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة.

قال عيسى (ع) : فما قلتم، وما قيل لكم ؟

قال : قلنا : ردّنا إلى الدنيا فنزهد فيها ، قيل لنا : كذبتم .

قال عيسى (ع) : ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم ؟

---

*شرف من الأرض : مرتفع

قال : ياروح الله وكلمته إنّهم ملجمون بلجام من نار ، بأيدي ملائكة غلاظ شداد ، وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم ، فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنّم ، لا أدري أُكبكب فيها أم أنجو منها .

فالتفت عيسى (ع) إلى الحواريين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح والجريش، والنوم على التراب، خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة.

أبرز ما يستنبط من القصة :

أنّ العذاب يعمّ الجميع، إذا أعانوا الظالم على الظلم، واستباحوا الحرمات، وتعلقوا بالدنيا ونسوا الآخرة.

المناقشة

١ . كيف أدرك النبي عيسى (ع) موت جميع أهل القرية بسخط الله ؟

٢ . لأيّ شيء حلّ سخط الله وغضبه بالقرية التي مرّ فيها عيسى (ع) ؟

٣ . لماذا لم يكلّم عيسى (ع) سوى رجل واحد وماشأنه؟

٤ . استخلص عيسى (ع) عبرة، فما الذي قاله لأصحابه؟

النجاة في الصدق

٣- حتى لا ينسكب الحليب

قدِمَ شاب إلى شيخ وسأله : أنا شاب صغير ورغباتي كثيرة .. ولا أستطيع منع نفسي من النظر إلى الفتيات في السوق ، فماذا أفعل ؟ فأعطاه الشيخ كوباً من الحليب ممتلئاً حتى حافته وأوصاه أن يوصله إلى وجهة معينة يمرّ من خلالها بالسوق دون أن ينسكب من الكوب أي شيء ! واستدعى واحداً من طلابه ليرافقه في الطريق ويضربه أمام كلّ الناس إذا انسكب الحليب ! !

أوصل الشاب الحليب للوجهة المطلوبة دون أن ينسكب منه شيء .. ولما سأله الشيخ : كم مشهداً وكم فتاة رأيت في الطريق ؟ فأجاب الشاب : شيخي لم أرَ أي شيء حولي .. كنت خائفاً فقط من الضرب والخزي أمام الناس إذا انسكب مني الحليب ! فقال الشيخ : وكذلك هو الحال مع المؤمن .. المؤمن يخاف من الله ومن خزي يوم القيامة حين تعرض سيّئأته أمام الناس .. هؤلاء المؤمنون يحمون أنفسهم من المعاصي فهم دائمو التفكير في يَوم القِيامة ! !

أبرز مايستنبط من القصة

١ . على المرء أن يراقب أفعاله ، ويحذر عقاب الله .

٢ . أنّ من يضع نصب عينه خوف الله وخوف الافتضاح يوم القيامة أمام الخلق حين تعرض الأعمال أمام الملأ ، يسلم وينجو ويبتعد عن كل محرم .

٣ . أن في غضّ النظر عن المحرمات نجاة من عقاب الله .

المناقشة

١ . ما غاية الشيخ من أمر الفتى بحمل كوب اللبن والسير في السوق ؟ وأين وجه الشبه مع الموقف يوم القيامة ؟

٢ . حين مرّ الشاب في السوق هل تطلّع الى المحرّمات ؟ ولماذا ؟

٣ . ابحث في القرآن الكريم عن آية كريمة تأمر بغضّ البصر .

الوحدة الثانية

الدرس الأول: من القرآن الكريم

سورة المؤمنون من الآية (٥١-٧٧) آيات الحفظ (٥١-٦٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ
أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ (٥٣)
فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ
بَل لَّا يَشۡعُرُونَ (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ (٥٨)
وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ
يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ
لَا يُظۡلَمُونَ (٦٢) بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ (٦٤) لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي
تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ
أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٦٨) أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ
جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٠) وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ (٧١) أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا
فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٧٣) وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ (٧٤) ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم
بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ (٧٧) ﴾ **صدق الله العلي العظيم**

معاني الكلمات

الكلمة :	معناها
زبراً :	أحزاباً وفرقاً مختلفة.
غمرتهم (الغمرة) :	الحَيْرة والضلالة.
يجأرون :	يصرخون مستغيثين.
تنكصون :	ترجعون، معرضين عن سماعها.
ناكبون :	مبتعدون عن الحق زائغون عن الصواب.
يتضرّعون :	يتذلّلون لله بالدعاء.
مبلسون :	يائسون متحيّرون.

المعنى العام

ذكر الله تعالى قصص الأنبياء والمرسلين، وأتبع ذلك بذكر أخبار الكفرة المتمردين من أقوامهم واختلافهم وتفرقهم في الدين حتى أصبحوا فرقاً وأحزاباً، ليجتنب الإنسان طرق أهل الضلال. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ يا أيها الرُّسل كلوا من طيبات الرزق الحلال، واعملوا الأعمال الصالحة، إني عالم بما تعملون لا يخفى عليّ شيء من أمركم.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ وإنّ دينكم - يا معشر الأنبياء - دين واحد هو دين الإسلام، وأنا ربكم فخافوا عذابي وعقابي.

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ تفرق الأتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أدياناً بعد أن أمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحقّ وأن غيره على الباطل، وفي هذا تحذير من التعصب و التفرق في الدين.

﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ فاتركهم - أيها الرسول - في ضلالتهم وجهلهم بالحقّ إلى أن ينزل العذاب بهم.

﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ أيظن هؤلاء الكفار أن الذي نعطيهم في الدنيا من الأموال والأولاد، هو تعجيل ومسارعة في الإِحسان؟ كلا، ليس الأمر كما يظنون بل هو استدراج لهم، وهم لايحسّون بذلك.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وجلون مما خوّفهم الله تعالى به. والذين هم يصدقون بآيات الله في القرآن ويعملون بها.والذين هم يخلصون العبادة لله وحده،ولايشركون به غيره. والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة الاّ تُقبل أعمالهم، والاّ تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب. أولئك المجتهدون في الطاعة، والمسارعون إلى كلّ عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٢ ﴾ ولا نكلّف عبداً من عبادنا إلاّ بما يسعه العمل به ، وعندنا صحائف أعمال العباد التي سُطّر فيها ما عملوا من خير أو شرّ نجازيهم في الآخرة عليها ولا يُظلم أحد.

﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣ ﴾ لكنّ قلوب الكفار في ضلال وغفلة عن هذا القرآن و ما فيه، ولهم أعمال سيئة كثيرة غير الكفر والإِشراك، سيعملونها في المستقبل، لينالوا غضب الله وعقابه.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ۝٦٤ ﴾ حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعذابنا،إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين.

﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥ ﴾ فيقال لهم: لا تستغيثوا اليوم،إنكم لاتمنعون من عذابنا،فلاينفعكم صراخ ولااستغاثة.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

لقد كنتم تسمعون آيات القرآن تقرأ عليكم، فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها،كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء. تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام، تقولون: نحن أهل حرم الله، وخدّام بيته، فلن يغلبنا أحد، ولا نخاف أحداً، وتتسامرون في أحاديثكم حول القرآن بالسيىء من القول.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ أفلم يتفكروا في القرآن ليعرفوا صدقه، أم الذي منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت مثله في آبائهم الأولين؟

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ أم لم يعرفوا رسولهم محمداً الذي نشأ بينهم عمراً طويلاً فهو المعروف بأخلاقه العالية، الملقب فيهم بالصادق الأمين، وبهذه الصفات يُحال أن يكون رسولهم كاذباً، لكن بغيهم وحسدهم جعلهم ينكروه. بل، إحتسبوه مجنوناً؟ لقد كذبوا، فإنما جاءهم بالقرآن و التوحيد والدين الحق، وأكثرهم كارهون للحق؛ لأنه يخالف شهواتهم وأطماعهم فلا يؤمنون به.

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ ولو شرع الله لهم ما يوافق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بل أتيناهم بما فيه عزّهم وشرفهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ هل منعهم من الإيمان أنك-أيها الرسول - تسألهم أجراً على دعوتك لهم فبخلوا؟ لم تفعل ذلك فإنّ ما عند الله من العطاء والثواب خير، وهو خير الرازقين.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ وإنك-أيها الرسول-لتدعو قومك وغيرهم إلى دين قويم، وهو دين الإسلام.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ وإنّ الذين لا يصدّقون بالبعث والحساب و العقاب، لمائلون عن الطريق المستقيم منحرفون عنه.

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ولو رحمناهم وكشفنا عنهم ما بهم من قحط وجوع، لتمادوا في الكفر والعناد ويتخبطون حيارى.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ولقد ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما خضعوا لله، وما دعوا ربهم لكشف البلاء.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ حتى إذا فتحنا عليهم باباً من العذاب الشديد في الآخرة، يئسوا من كلّ خير.

أهم ما يُرشد إليهِ النص

١ – أن ملّة المؤمنين ملة واحدة وإنّ دينهم هو دين الإسلام.

٢ – في النصّ تسلية لرسول الله (ص) ووعيد للمشركين. إذ خاطبه الله بترك هؤلاء المشركين في غفلتهم وضلالهم حتى يحين موتهم فيجزيهم الله بأعمالهم.

٣ – أنّ الكافرين واهمون عندما تفتح الدنيا لهم ذراعيها ، فإن ذلك استدراج لهم وجرّ لهم إلى زيادة الأثم.

٤ – أن الله عنده صحائف أعمال العباد سطّر فيها ما عملوا من خير أو شر يُجازون عليه في الآخرة.

٥ – أن أكثر المشركين يكرهون الحق لما في قلوبهم من الزيغ والانحراف.

٦ – خطر إتباع الهوى والشهوات وما تفضي إليه من الهلاك والخسران.

المناقشة

١ـ ناقش هذا الحديث الشريف، وأشر إلى مواضع علاقته بالدرس: (إنّ الله يعطي الدنيا لمن يحبّ ولمن لا يحب ، ولا يعطي الدين الا لمن أحب).

٢ـ وصف الله تعالى قلوب الكافرين المجرمين بأنها في غطاء وغفلة وعماية عن القرآن (ولهم أعمال من دون ذلك)، فما هذه الاعمال السيئة ؟

حقُّ الصديق والجار — للشرح والحفظ

قال رسول الله (ص):

(خَيرُ الأصحاب عِندَ الله تعالى خيرُهم لصاحبِه، وخَيرُ الجيران عِندَ الله تعالى خَيرُهُم لجارِه). صدق رسول الله (ص)

معاني الكلمات

الكلمة:	معناها
الصاحب:	الصديق والخليل.
خيرهم:	أحسنهم وأنفعهم.

شرح الحديث الشريف

١- يهتم الدين الإسلامي بعلاقات الترابط بين الناس، ويريد تعميقها وتقويتها على أسس المودة والتعاطف .. فيسودُ الصفاءُ وتأتلف القلوب ويصبح المجتمع أسرة واحدة متكاتفة يشدُّ بعضها بعضاً.

وفي هذا الحديث الشريف يبيّن الرسولُ (ص) أهمية الصديق الحقّ، وأهمية الجار.

فالصديق الحقّ: أخ لصديقه، يرتبطان بروابط عديدة كالمحبة والألفة والتناصح والتعاون عند الشدة والتشاور في أمور الخير.. وكلما كان الصديق المسلمُ قريباً من صديقه في الخير ودوداً نافعاً لهُ يرشدهُ وينصحهُ ويدفع عنهُ ما يؤذيه يدعوه إلى الخير ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر.. كان أكثر ثواباً وأعظم منزلةً وأرفع كرامة عند الله.

والصداقة يجب أن تكون خالصة لله وليست صداقة غايات أو صداقة للمنافع الشخصية.. ومتى خلصت لله وسارت يُزكيها الإيمان، ويهذبها الإسلام كانت صداقةً مثاليةً يقتدي بها الناس وتكون مضرب الأمثال، وتؤدي إلى نفع الآخرين، ونفع المجتمع عموماً. فالصديقان الحميمان المتحابان في الله، يظلّهما الله بظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه في يوم القيامة، وقد ذكرهما رسول الله (ص) ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة قال (ص): (ورجلان تحابا في الله.. اجتمعا عليه. وافترقا عليه). لذا وجب اختيار الصديق الصالح والفرار من صديق السوء.

٢- وخير الجيران منزلة عند الله خيرهم لجاره.. قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ النساء: ٣٦

فجدير بالجار أن يحسن إلى جاره فيرعى حقوقه. ويقفُ معه عند الحاجة يعودهُ عند المرض ويجامله ويواسيه عند الشدائد والملمات. ويهنئه في المسرات.

وقد تحدث بعض الهفوات بين الجار وجاره. فعليه أن يصبر عليها ويتغاضى عنها، ويعالجها بالحكمة، مراعياً حقّ الجار.

ويجب ألّا يتجسس الجار على جاره، وعلى عوراته، فيصون جاره في عرضه، وماله، ونفسه.. قال رسول الله الاعظم (ص):

(لا يدخل الجنة مَنْ لا يأمنُ جاره بوائقه).

وعلى الجار ألّا يُزعج جاره بأي تصرف من التصرفات المؤذية.. كرفع صوت المذياع أو رمي الأوساخ في الطريق مثلاً.. أو أي عمل يُزعج الجيران ويقلق راحتهم فهذه ليست من خلق المسلم. قال (ص): (من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذِ جاره).

أهم ما يُرشد إليهِ الحديث

١- الصداقة بين الناس على وفق تعاليم الله ورسوله صفةٌ حسنةٌ ورائعة يريدها الله ويباركها.. وهي خَصلة تخدم المجتمع وتقوّي كيانه.

٢- من واجبات المسلم احترام جاره والتقرب له ومساعدته ومؤزارته في كلِّ أمر مشروع وعلى وفق تعاليم الله ورسوله.

٣- إنّ ما نراه بين بعض الجيران من تباعد وتجاف، إنما هو أمر لا يوافق الإِسلام. ويعارض الحديث الشريف. .. فجدير بالجيران أن يتحابوا ويتقاربوا في الله وعلى وفق هدى الله ورسوله.

٤- يجب على المسلم الحق ألّا يُسيء لجاره ولا يزعجه بأيةِ وسيلة كانت. بل ينبغي عليه أن يفيده ويعاضده ويؤازره في أمور الحياة.. فيكسب بذلك رضا الله ومحبة جاره ومقابلته له بالمثل عند الشدائد.

المناقشة

١- ما صفات الصديق الحقّ والجار الطيب كما أرادها رسولنا محمد (ص)؟

٢- تحدث عن صفة الصداقة التي يجب أن تكون على وفق هدى الله تعالى والرسول (ص).

٣- هنالك أمور تؤذي الجار على المسلم أن يتجنبها، ما هي؟

الدرس الثالث : من قصص القرآن

أصحاب السبت

ذكر الله في محكم كتابه الكريم أصحاب السبت على نحو موجز في سورة البقرة والنساء والنمل وذكر قصتهم بتفصيل أكثر في سورة الأعراف، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ النساء: ٤٧

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦

وقصة أصحاب السبت تذكر بأن الله سبحانه وتعالى حرَّمَ على اليهود العمل في يوم السبت، ونهاهم عن صيد الأسماك فيه، وقد شاء سبحانه أن يختبرهم ويبتليهم بسبب فسقهم وعصيانهم ليكشف الستار عن حقيقة نفوسهم المتصفة بالضعف والخداع، فكان السمك يأتي بكثرة ظاهراً على وجه الماء، قريباً من سطحه في يوم السبت على خلاف سائر الأيام.

وبظهور السمك الكثير، ظهرت حقيقتهم، وطبيعة أنفسهم، التي جُبلت على الاحتيال والغدر، ونكث العهد، والانسياق وراء الأهواء والأطماع، فكانوا يحجزون السمك في يوم السبت بطريقة ما، وينتشلونه يوم الأحد، محتجين على جواز عملهم بإنهم اصطادوه يوم الأحد، فكانوا يحصلون من ذلك الطريق على أموالٍ طائلة ثم إن القوم انقسموا على ثلاث فرق.

١- فرقة ظالمة معتدية، وهي التي لجأت إلى الاحتيال في صيد السمك فتجاوزت بذلك حكم الله تعالى، واقترفت المعصية.

٢- فرقة مؤمنة، وهي التي تحملت مسؤولية قول الحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوعظت العصاة، وحذَّرتهم من مغبة ارتكاب ذلك العمل.

٣- فرقة ساكتة، وهي التي امتنعت عن الصيد، ولكنها تركت العصاة وشأنهم فلم تنصحهم أو تزجرهم، بل اكتفت بموقف المتفرج، طلباً للراحة أو خوفاً على مصالحها، والله سبحانه وتعالى يحكي حال الطائفتين الأُخريين ويقول: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي جماعة من بني إسرائيل ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ في الآخرة. وهذا التساؤل يعبّر عن اليأس من اتعاظ هؤلاء المحتالين، وعدم اكتراثهم للتحذير.

فأجاب الواعظون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بجوابين:

١- أن في قيامنا بهذا العمل ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ إذ فرض علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا نُلام وننسب إلى التقصير في النهي عن المنكر.

٢- لعلهم بالوعظ والانذار يتقون الله تعالى، ويرجعون إلى طاعته ويمتثلون أمره.

ولكن القرآن يشهد بعدم تأثير الواعظين في نفوس المعتدين ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ ﴾ وتركوا ما ذكَّرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾

خلّصنا الذين كانوا يعظون القوم ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ أي شديد، وما هذا إلّا بسبب فسقهم وعصيانهم ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ ﴾وارتكبوا ما نهوا عنه وتمرّدوا في الفساد، عاقبهم الله تعالى بمسخهم على هيئة القردة ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾. مبعدين مطرودين، وفي الآية دلالة على أن الناجين كانوا هم الناهين عن السوء، وقد هلك الباقون من المصطادين وغيرهم التاركين للوعظ، وما ذلك إلّا لأن الآية خصّت النجاة بالناهين ولم يذكر عن غيرهم شيئاً.

وقد أخذ الله الباقين، وهم الذين يصِيدون في السبت والذين قالوا ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾. وإنّ الأخذ الإلهي الشديد يرصد الظالمين مثلما يرصد مشاركيهم في ظلمهم. فمن لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر، فلا يرتدع العاصي عن معصيته فيستشري الفساد في الأرض.

الدروس والعبر

١- إذا أنعم الله على أمةٍ ثم أعرضت عن شكره تعرضت للبلاء والعذاب.

٢- عدم مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى في القول والعمل.

٣- وجوب طاعة أوامر الله وعدم التسويف والمراوغة في امتثال أوامره.

٤- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نجّا الله سبحانه وتعالى الناهين عن المنكر وأهلك أصحاب الأعمال المنكرة.

المناقشة

١- من هم أصحاب السبت؟ ولماذا سمّوا بهذه التسمية؟

٢- إلى كم فرقة اختلفوا على صيد السمك؟

٣- ما العقوبة الإلهية على المخالفين لأمره؟

الدرس الرابع: الأبحاث

حقوق الأولاد والأبوين

الأسرة هي نواة المجتمع الإنساني ومصدر راحته وسعادته، وقد شيدها الله تعالى على أساس المودّة والرحمة، فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾: (الروم: ٢١)

وقد قرر الإسلام لحفظ كيان الأسرة وسعادة أبنائها أحكاماً وجعل لكل فرد منها حقوقاً وواجبات، ومن ذلك حقوق الأولاد على الأبوين، ومنها:

١ - ثبوت النسب:

إذا تزوج رجلٌ وإمرأة وولدت مولوداً بعد ستة أشهر فأكثر، ثبت النسب وُلحِقَ الولدبأبيه وثبتت له سائر الحقوق.

٢ - الرضاعة (الانفاق):

الرضاعةُ حقٌّ للطفلِ لأن لبن الأمّ أنفعُ غذاء له منذ ولادته حتى فطامه لذلك كانت واجبة على الأم، كما يجب على الأب الإنفاق على المرأة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ البقرة: ٢٣٣

٣ - الحضانة:

يحتاج الطفل منذ ولادته إلى من يقوم بتربيته وتنشئته وخدمته حتى يستغني عن ذلك. والقيام بهذه الأمور هو المقصود بالحضانة، ولذلك عرّفها الفقهاء بأنها تربيةُ الولد ممن له حقّ الحضانة. و أولى الناس بحضانةِ الطفل أمّه لأنها أكثر الناس شفقة عليه وقدرة على تربيتهِ، فيثبتُ لها حقُّ الحضانةِ كما هو مثبت في كتب الفقه، وتنتهي مدة الحضانة ببلوغ الطفل عمره المقرر شرعاً، وعند ذلك يُضمُ إلى من له الولاية على النفس وهو الأب.

٤ – حفظ أموالهم:

ومن حقوق الصغار ومَنْ في حُكمهم من الأولاد القاصرين كالأيتام حفظ أموالهم وإدارتها وتثميرها من قبل الأب أو من يقوم مقامه. وإذا وصل الصغار سنّ البلوغ مع العقل والرشد تدفع إليهم أموالهم ليتصرفوا بها هم أنفسهم.

قال تعالى:

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦.

حقوق الأبوين على الأولاد:

الأبوان هما سبب وجود الأولاد وشريكان في تربيتهم ورعايتهم، قد بذلا في سبيلهم الجهد الكبير والمال الكثير وما تبذله الأم أكثر مما يبذله الأب، لذا عظَّم حقهما وأوصى الله بهما في القرآن الكريم وسنة الرسول (ص) حتى قرن الله الأمر ببرّهما وأداء حقوقهما، بالأمر بعبادته وحده، قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣-٢٤.

والحقُ أنَّ هذه الآية الكريمة جمعت حقوق الأبوين على الأولاد وما يجب على الأولاد من حسن الصحبة والمحبة والبرّ بهما، ويدخل في ذلك وجوب خدمتهما والإنفاق عليهما إذا كانا محتاجين، وكان الأولاد قادرين على الإنفاق، والامتناع عن إيذائهما حتى بالكلمة البسيطة، بل مخاطبتهما بالكلمة الطيبة والقول الجميل الحسن الذي يزيد في إكرامهما واحترامهما.

وفي الحديث الشريف : (جاء رجل الى رسول الله (ص) فقال : يارسول الله من أحقُّ الناس بحسن صحبتي ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمك ؟ قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمك ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أبوك .....) .

وفي هذا الحديث دلالة على أن حقّ الأم أكبر من حقّ الأب ومقدم عليه ، فمن حقهما على الولد أن يُحسنَ صحبتهما غاية الإحسان ، وفي القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ (١٥)﴾ لقمان: ١٥

والصحبة الحسنة بجميع معانيها تبقى واجبة على الولد حتى لو كان مسلماً وأبواه غير مسلمين .

المناقشة

١- ما أهم حقوق المولود بالنسب ؟

٢- الأبوان سبب وجودنا . أكتب عن حقّهما في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريف ؟

٣- كيف تكون صحبتنا للوالدين ؟

٤- أيهما أعظم حقاً حقُّ الأم أو الأب ؟

٥- كيف يكون برّ الوالدين بعد موتهما ؟

الدرس الخامس: التهذيب

آفات اللسان

يريد لنا الإسلام أن نحيا حياة حرة كريمة نتنعم فيها بكرامة محفوظة، بعيداً عن الشحناء والبغضاء والإهانة ، لذلك جاءت تعاليم الإسلام لتنظم الحياة بأدقّ تفاصيلها ومن تلك التعاليم تلك التي جاءت لتحذرنا من آفات اللسان، التي هي أساس الفتنة ومصدر الشر والسبيل إلى النار ، فإن آفات اللسان هي أسرع الآفات للإنسان، وأعظمها في الهلاك والخسران . قال عزّ وجلّ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨

وقال الله تعالى:

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ النساء: ١٤٨

وقال سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ الهمزة: ١

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

وقد بيّن النبيِ (ص) خطر اللسان وآفاته وكونه سبب دخول الناس النار فقال (ص):

«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكفّر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك. فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»؛ وقال أيضاً: «وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، فِي النَّارِ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» .

ثم بيّن (ص) خلق الإسلام والمسلمين فقال (ص) : لَيسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الْفَاحِشِ وَلاَ الْبَذِيءِ.

وآفات اللسان كثيرة منها: الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والفحش واللغو وقذف المحصنات والسبّ والنفاق.

١- فحش القول:

وهو القبيح والسيء من القول، مما ينكره العقل والطبع أو الشرع. إن الْبَاعِثُ عَلَى الْفُحْشِ إِمَّا قَصْدُ الإِيذَاءِ، وَإِمَّا الاِعْتِيَادُ الْحَاصِلِ مِنْ مُخَالَطَةِ الْفُسَّاقِ وَأَهْلِ الْخُبْثِ وَاللُّؤْمِ، وَمَنْ كان السَّبُّ عَادَتُهُمْ.

٢- اللَّغْوُ

اللَّغْوُ هُوَ الْبَاطِل الَّذي لاَ يَتَّصل بِفِعْلٍ صَحِيحٍ، وَلاَ يَكُونُ لِقَائِلِه فيه فَائِدَةٌ وَرُبَّمَا كَانَ وَبَالاً عَلَيْه، كَأَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُل بِمَا لاَ يَعْنِيه مِنْ أُمُورِ النَّاس فَيُفْشِيَ أَسْرَارَهُمْ، وَيَهْتك أَسْتَارَهُمْ.

وَالصِّلَةُ بَيْنَ فُحْشِ الْقَوْل وَاللَّغْوِ أَنَّ كُلّا مِنْهُمَا مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ.

٣- السَّبُّ

السَّبُّ: هو الشَّتْمُ، قَيل: هُوَ كُل كَلاَمٍ قَبِيحٍ يخدش شرف شخص أو اشخاصٍ ويعتبر اعتداءً عليهم.

٤- الرَّفَثُ

مِنْ مَعَانِي الرَّفَث فِي اللُّغَة: اللَّغْوُ مِنَ الْكَلاَمِ، يُقَال: رَفَثَ فِي كَلاَمِهِ يَرْفُثُ إِذَا تَكَلَّم بِالْقَبِيحِ من الكلام، كأن يصرح بما يكنى عنه من ألفاظ الجماع (العلاقات الجنسية).

٥- الغيبة

الغيبة: (الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه). وقيل: (الغيبة ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلقه، أو خُلقه، أو ماله، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز). والغيبة آفة خطيرة من آفات اللسان، ولقد عرفها النبي (ص) «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول: قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه».

و قال رسول الله (ص): «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوّى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه».

والغيبة لا تختص باللسان فحيثُ ما أفهمتَ غيرك ما يكرهه المغتاب ولو بالتعريض، أو الفعل، أو الإشارة، أو الغمز، أو اللّمز، أو الكتابة، وكذا سائر ما يتوصل به إلى المقصود كأن يمشي مشيه فهو غيبة، بل هو أعظم من الغيبة لأنه أعظم وأبلغ في التصوير والتفهيم.

ولا شك في أن غيبة المسلم الميت أفحش من غيبة الحي وأشدّ؛ لأن عفو الحيّ واستحلاله ممكن بخلاف الميت، فعن عائشة عن النبي (ص): «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه».

و قال رسول الله (ص): «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمانُ قلبَهُ لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتّبعَ عوراتِهم يتّبع اللهُ عورتَهُ، ومن يتبع الله عورته، يفضحهُ في بيته».

الأسباب الباعثة على الغيبة

عندما ينظر الإِنسان المسلم العاقل ويفكر في الأسباب التي تدفع المغتاب إلى الغيبة وتدفع النمام إلى النميمة فسوف يجد لذلك أسباباً منها ما يأتي :

١- محاولة الانتصار للنفس والسعي في أن يشفي المغتاب الغيظ الذي في صدره على غيره فعند ذلك يغتابه أو يبهته، أو ينقل عنه النميمة.

٢- الحقد على الآخرين والبغض لهم فيذكر مساوئ من يبغض ؛ ليشفي حقده ويبرِّد صدره بغيبة من يبغضه ويحقد عليه. وهذا ليس من صفات المؤمنين كاملي الإِيمان.

٣- إرادة رفعة النفس وخفض غيرها كأن يقول : فلان جاهل، أو فهمه ضعيف، أو سقيم، أو عبارته ركيكة، تدرجاً إلى لفت أنظار الناس إلى فضل نفسه وإظهار شرفه بسلامته عن تلك النقائص التي ذكرها في مَنْ اغتابه. وهذا من الإِعجاب بالنفس، وهو من المهلكات التي بيّنها رسول الله (ص).

٤- موافقة الجلساء والأصحاب، والأصدقاء ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل ؛ لكي يُكسَب رضاهم ولو كان ذلك بغضب الله (عز وجل) وهذا من ضعف الإِيمان وعدم مراقبة الله عز وجل.

٥- إظهار التعجب من أصحاب المعاصي : كأن يقول الإِنسان : ما رأيت أعجب من فلان كيف يخطئ وهو رجل عاقل أو كبير أو عالم أو غير ذلك وكان الواجب عدم التعيين.

٦- السخرية والاستهزاء بالآخرين والاحتقار لهم.

٧- الظهور بمظهر الغضب لله على من يرتكب المنكر فيظهر غضبه ويذكر اسمه مثل أن يقول : فلان لا يستحيي من الله يفعل كذا وكذا ويقع في عرضه بالغيبة.

٨- الحسد فيحسد المغتاب من يُثني عليه الناس ويحبونه، فيحاول المغتاب الحسود قليل الدين والعقل أن يزيل هذه النعمة فلا يجد طريقاً إلى ذلك إلّا بغيبته والوقوع في عرضه حتى يزيل نعمته أو يقلل من شأنه عند من يثنون عليه. وهذا من أقبح الناس عقلاً وأخبثهم نفساً .

قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقيُّ النّقيُّ، لا إثم فيه ولا بغيّ ولا غلّ ولا حسد».

٩- إظهار الرحمة والتّصنُّع بمواساة الآخرين، كأن يقول لغيره من الناس: مسكين فلان قد غمّني أمره وما هو فيه من المعاصي...

١٠- التصنّع، واللعب، والهزل، والضحك فيجلس المغتاب خبيث النفس فيذكر عيوب غيره مما يضحك به الاخرين الناس فيضحك الناس، فعند ذلك يرتاح ويزيد من الكذب والغيبة على سبيل الهزل والنكت والإعجاب بالنفس.

١١- أن ينسب إليه فعلاً قبيحاً فيتبرأ منه ويقول: فلان الذي فعله ومحاولة إلقاء اللوم والتقصير على غيره؛ ليظهر بمظهر البريء من العيوب.

١٢- الشعور بأن غيره يريد الشهادة عليه أو تنقيصه عند كبير من الكبراء، أو صديق من الأصدقاء، أو سلطان فيسبقه إلى هذا الكبير ويغتابه؛ ليسقط من عينه، وتسقط عدالته، أو مروءته.

علاج الغيبة

وذلك باتّباع النصائح الآتية:

١- تذكّر مساوئ الغيبة، وأخطارها الجسيمة، في دنيا الإنسان و أخراه.

٢- الاهتمام بتزكية النفس، وتجميلها بالخلق الكريم، وصونها عن عيوب الناس ومساوئهم، بدلاً من اغتيابهم واستنقاصهم.

٣- استبدال الغيبة بالأحاديث النافعة والممتعة، والنوادر الشيّقة، والقصص الهادفة الطريفة.

٤- ترويض النفس على صون اللسان، وكفّه عن بوادر الغيبة.

٥- أن يعلم الإنسان أنه إذا وقع في الغيبة فهو متعرّض لسخط الله تعالى ومقته.

وأن يعلم أن حسناته يؤخذ منها يوم القيامة لمن اغتابه بدلاً عما استباح من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه فربما ترجح كفة سيئاته فيدخل النار وقد يحصل ذلك للإنسان بإذهاب حسنة واحدة من حسناته أو بوضع سيئة واحدة من سيئات خصمه.

فإذا آمن الإنسان المسلم بالأحاديث النبوية الناهية عن الغيبة وتدبّرها حق التدبر لم ينطق لسانه بغيبة، وتدبر نفسه، وعيوبها، وتقصيرها، وأن يتدبر في إصلاح نفسه عن عيوب الناس والكلام فيهم، وعلى من به عيب أن يستحيي من الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية حين يرى نفسه على العيوب ويذكر عيوب غيره، بل ينبغي له أن يلتمس لأخيه عذراً ومخرجاً ويعلم أن عجزه عن تطهير نفسه من ذلك العيب كعجزه هو عن تطهير نفسه من عيوبها فإن كان الذم له بأمر خَلْقي كان ذماً للخالق؛ فإن ذم الصنعة يستلزم ذم صانعها فليتق الله عز وجل ويصلح نفسه عن عيوبها وكفى بذلك شُغلاً!

٦- عليه أن ينظر في السبب الذي يدفعه إلى الغيبة فإن علاج العلة إنما يتّم بقطع سببها .

فإذا كان سبب الغيبة الغضب فعليه أن يقول: إن أمضيت غضبي عليه فأنا أخشى الله أن يمضي غضبه عليَّ بسبب الغيبة فإن الله قد نهاني عنها فعصيته واستخففت بنهيه.

طريق التوبة من الغيبة

وطريق التوبة بالنسبة لمن اغتاب المسلمين هو ان يستغفر الله تعالى وأن يتحلل من المغتاب ويطلب منه العفو إذا أمِنَ الفتنة أما إذا كان هذا يسبب الشحناء أو يسبب منكراً آخر أو فتنة فإن المغتاب يذكره بالخير الذي فيه في المجالس التي ذكره فيها بسوء ويردَّ عنه الغيبة بجهده وطاقته فتكون تلك بتلك إن شاء الله مع مراعاة شروط التوبة .

النميمة :

هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد والوقيعة بينهم. وهي محرّمة بإجماع المسلمين.

والنمّ إظهار الحديث بالوشاية. وأصل النميمة الهمس والحركة.

الترهيب من الوقوع في النميمة

النميمة من أبشع الجرائم الخُلقية، وأخطرها في حياة الفرد والمجتمع، والنمّام ألأم الناس وأخبثهم، لاتصافه بالغيبة، والغدر، والنفاق، والإفساد بين الناس، والتفريق بين الأحباء. لذلك جاء ذمّه، والتنديد في الآيات والأخبار:

قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ القلم: ١٠ - ١٣

وقال سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ الهمزة: ١

فالهُمزَة: الذي يغتاب الناس ويبغضهم، واللمزة: الذي يعيب الناس ويطعن فيهم.

قال رسول اللّه (ص):

«ألا اخبركم بشراركم. قالوا: بلى يا رسول اللّه. قال: المشّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العنت».

وقال الصادق (ع) للمنصور: «لا تقبل في ذي رحمك، وأهل الرعاية من أهل بيتك، قول من حرّم اللّه عليه الجنة، وجعل مأواه النار، فإن النمّام شاهد زور، وشريك إبليس في الاغراء بين الناس، فقد قال اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات: ٦

كيف تعامل النمّام:

لما كان النمّام من أخطر المفسدين، وأشدهم إساءة وشراً بالناس، فلزم الحذر منه، والتوقّي من كيده وإفساده، وذلك باتّباع النصائح الآتية:

الأول: أن لا نصدقه، لأنّ النمّام فاسق.

لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ الحجرات: ٦

الثاني: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء عند سماع قول النمام.

لقوله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ١٢﴾ الحجرات: ١٢

الثالث: أن لا يحمله ما حُكي له على التجسس والبحث عن ذلك.

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ ١٢﴾ الحجرات: ١٢

الرابع: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته عنه فيقول: فلان حكى كذا، فيصير به نمّاماً، ويكون آتياً ما نهى عنه... فيكون نماماً ومغتاباً، في آن واحد.

وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع): «أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل. فقال: علي(ع) يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك. قال: أقلني يا أمير المؤمنين».

وفي ذلك ردعٌ للنمام فان كان قوله صدقاً أصبح النمام موضع كره ومقت، وأن كان كاذباً فقد توعده أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعقاب ثم خيره ان يتركه ويبعده عنه فاختار النمام ذلك، وهذا هو اسلوب أمير المؤمنين (عليه السلام) في التأديب لمنع الناس من النميمة.

الخامس : أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

السادس: أن ينهاه عن النميمة، وينصحه، ويُقبح له فعله.

السعاية

وهي أقسى صور النميمة، وأعظمها ذنبا وجريرة وإثماً، إذ تستهدف دمار المسعى به وهلاكه بالنّم عليه، والسعاية فيه لدى المرهوبين، من ذوي السلطة والسطوة.

وأكثر ضحايا السعاية هم المرموقون من العظماء والأعلام، المحسودون على أمجادهم وفضائلهم، مما يُحفّز حاسديهم على إذلالهم، والنكاية بهم، فلا يستطيعون سبيلاً إلى ذلك، فيكيدونهم بلؤم السعاية، إرضاءاً لحسدهم وخبثهم، بيد أنه قد يبطل كيد السعاة، وتُخفق سعايتهم، فتعود عليهم بالخِزي والعقاب، وعلى المسعي به بالتبجيل والإعزاز.

لذلك كان الساعي من ألأمِ الناس، وأخطرهم جناية وشراً، كما جاء عن النبي (ص) قال: «شرّ الناس المثلث؟ قيل: يا رسول اللّه ومن المثلث؟ قال: الذي يسعى بأخيه الى السلطان، فيهلك نفسه، ويهلك أخاه، ويهلك السلطان»

ذو الوجهين

إن شرّ الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه). وإنما كان ذو الوجهين أشرّ الناس، لأنّ حاله حال المنافق إذا هو متملق بالباطل وبالكذب من مدخل للفساد بين الناس فيأتي كلّ طائفة بما يرضيها على جهة الإفساد ويظهر له أنه منها ومخالف لضدها وهذا عمل النفاق والخداع وكذب وتحايل على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرّمة. وأما من يقصد الإصلاح بين الناس فذلك محمود وهو أنه يأتي كل طائفة بكلام فيه صلاح الطائفة الأخرى ويعتذر لكل واحدة عند الأخرى وينقل إليها من الجميل ما أمكنه ويستر القبيح وبذلك يقرِّب ويصلح بينهما.

وقال رسول الله (ص): «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار».

الكذب

والكذب: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو ، على وجه العلم والتعمد، وهو من كبائر الذنوب التي يجب على المسلم تجنبها، وقد ورد النهي عن الكذب ولو كان مزاحاً.

لا شك في أن من كذب على الله وعلى رسوله أشدّ وأعظم ذنباً، وأقبح فعلاً ممن كذب على من سوى الله ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ الأنعام: ١٤٤.

كما ورد الترهيب من الوقوع في الكذب عموماً

فعن النبي (ص) قال: «عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البّر، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

وأعظم الكذب شهادة الزور، وهي الشهادة بالكذب بأن يشهد بما لا يعلم.

الترهيب من الوقوع في شهادة الزور

قال تعالى:

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾ البقرة: ١٤٠

قال النبيّ (ص): «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالها ثلاثاً»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وجلس وكان متكئاً فقال: «ألا وقَولُ الزور» فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

تعريف القذف

يقال: قذف بالحجارة (أي) رمى بها، وقذف المرأة المحصنة رماها بالزنى والفاحشة...
والتقاذف الترامي وهو في الأصل رمي الشيء بقوة ثم استعمل في الرمي بالزنا ونحوه، فمن اتهم إنساناً بالزنى أو علاقة جنسية محرمة، فقد قذفه.

الترهيب من الوقوع في القذف

لقد اعتبر الإِسلام القذف من الكبائر الموجبة لسخط الله وعذابه، وحثّ على حفظ أعراض الناس وعدم التعرض لها بسوء، في القول والعمل، وشدّد العقوبة على من ينتهك أعراض الناس ويقذفهم .قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (النور: ٤)، قال (ص): «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله ما هنّ؟ قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلّا بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

الجدال:

وهو نوعان:

النوع الاول: المحمود الممدوح: وهو كل جدال أيّد الحقّ أو أوصل إليه بنيّة صالحة خالصة وطريق صحيح. قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥.

والمجادلة بالتي هي أحسن هي التي تكون عن علم، وبصيرة، وبحسن الخلق، وبلطف، ورفق، ولين، وحسن خطاب، ودعوة إلى الحقِّ، وتحسينه، وردِّ الباطل وبيان قبحه بأقرب طريق موصل إلى ذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المغالبة وحبّ العلو، بل يكون القصد بيان الحقّ وهداية الخلق.

النوع الثاني: الجدال المذموم: وهو كل جدال أيد الباطل أو أوصل إليه أو كان بغير علم وبصيرة.

وهذا النوع هو من أعظم آفات اللسان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ الحج: ٨ - ٩

الأسباب الباعثة على الجدال بالباطل

لا شك في أن الأسباب الباعثة على الجدال بالباطل كثيرة منها:

١- الغرور، والكبرياء، والخيلاء.

٢- إظهار العلم والفضل.

٣- الاعتداء على الغير بإظهار نقصه وقصد أذاه.

وعلاج ذلك بالتوبة إلى الله تعالى، وبأن يكسر الكبر الذي يرفع الإنسان إلى إظهار فضله، والعدوان الباعث على احتقار غيره وتنقصه.

الخصومة والنزاع

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ البقرة ٢٠٤ - ٢٠٦.

قال رسول الله (ص) : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِمُ».

والألدُّ : هو شديد اللدد كثير الخصومة. والخَصِمُ الذي يُخاصم أقرانه ويحاجهم بالباطل ولا يقبل الحق.

إنَّ الجدل والخصومة بالباطل من آفات اللسان التي تسبب الفرقة والتقاطع والتدابر بين المسلمين، وإيغار صدور بعضهم على بعض، وتضييع أوقاتهم فيما لا ينفع، ولذلك حذّر منها الرسول (ص) ووعد من تجنبها الأجر العظيم والقرب منه يوم القيامة.

المناقشة

١- استشهد بآية قرآنية كريمة، تبيّن خطورة اللسان وما يصدر منه، وإنّ كلّ قول عليه رقيب.

٢- يُكَبّ الناس في النار حصائد ألسنتهم، استشهد على ذلك بحديث.

٣- عدد خمساً من آفات اللسان وتكلّم على واحدة.

٤- ما الغيبة؟

٥- ما أقسام الجدل؟

٦- ما علاج الغيبة؟

٧- عدد خمسةً من الأسباب الباعثة على الغيبة.

٨- ما القذف؟ ثم بيّن حرمته مع الشاهد.

٩- ما الذي يجب أن يفعله من حُملت إليه النميمة؟

الوحدة الثالثة

الدرس الأول: من القرآن الكريم

سورة المؤمنون من الآية (٧٨-١١٨) آيات للشرح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠
بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ
٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ
ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن
رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧
قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي
مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ
لَقَٰدِرُونَ ٩٥ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ
مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ
رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ

إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي
جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم
بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم
مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى
ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا
بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ صدق الله العلي العظيم

معاني الكلمات

الكلمة :	معناها
يجير :	يحمي من استغاث به .
همزات :	وساوس الشيطان المغرية بالمعاصي .
برزخ :	حاجز ومانع .
كالحون :	مكشّرون في عبوس .

المعنى العام

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ وهو الذي أنشأ لكم السمع، والأبصار، والأفئدة، ومع ذلك فشكركم لهذه النعم المتوالية عليكم قليل لا يُذكر.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ ﴾ وهو الذي خلق الناس جميعاً، وإليه تُجمعون بعد موتكم للجزاء والحساب.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت بعد الحياة، وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما، أفلا تعقلون قدرته ووحدانيته؟

﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ ﴾ لكن الكفار لم يصدقوا، بل ردّدوا مقولة أسلافهم المنكرين.

﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ ﴾ قالوا: أإذا متنا وتحللت أجسامنا وعظامنا في تراب الأرض نحيا مرة أخرى؟ هذا لايكون ولا يتصوّر. لقد قيل هذا الكلام لآبائنا من قبل، كما تقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة، ماهذا إلّا أباطيل الأولين.

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ ﴾

قل لهم: لمن هذه الأرض ومن فيها من المخلوقات إن لديكم علم. سيعرفون حتماً بأنها لله، هوخالقها ومالكها، قل لهم: أفلا تعتبرون بأنه قادر على البعث والنشور؟

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ قل من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم؟سيقولون حتماً: هي مِلك لله، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قل: مَن مالك كلّ شيء و مَن بيده خزائن كلّ شيء، وهو يحمي من استجار به والتجأ إليه، ولا يقدر أحد أن يحمي من أراد الله إهلاكه، إن كنتم تعملون.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾سيجيبون: بأن ذلك كلّه لله، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتصرفون عن طاعته وتوحيده مع اعترافكم وعملكم بأنه وحده المتصرف المالك.

﴿ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ بل جئناهم بالقول الصدق في أمر التوحيد والبعث والجزاء، وإنهم لكاذبون فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد.

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ ما اتخذ الله ولداً مطلقاً، وليس معه من يشاركه في الألوهية والربوبية، ولو كان معه إله -كما زعم عبدة الأوثان- لا نفردَ كل إله بخلقه،

فيختلّ نظام الكون، ولغلب بعضهم بعضاً. تنزّه الله وتقدّس عن وصفهم له بأن له شريكاً أو ولداً.

﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ هو وحده تعالى العالم بما غاب عن خلقه، لاتخفى عليه خافية من شؤون الخلق. تنزّه عن الشريك الذي يزعمون.

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ قل -أيها الرسول- يارب إن كان لابدّ من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا، فلا تجعلني في القوم المشركين الضالين، ولكن إجعلني مع مَنْ رضيت عنهم.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ وإنّا لقادرون على أن نريك مانعدهم من العذاب.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ادفع إساءتهم بالصفح عنهم وتجمّل بمكارم الأخلاق. نحن أعلم بما يكون من هؤلاء المشركين من الشرك والتكذيب وسنجازيهم عليه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ وقل-أيها النبي - ربّ اعتصمُ بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والمعاصي، وأحتمي بك يارب من حضورهم في شيء من أموري.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾

حتى اذا حضر أحدهم الموت، قال: ربّ ردوني إلى الدنيا. لكي أعمل صالحاً فيما ضيعت من عمري، فلا يجاب إلى ماطلب، فانما هي كلمة هو قائلها: لا رجوع إلى الدنيا فعالم البرزخ الذي بين الدنيا والاخرة يمنعهم من الرجعة وسيبقون فيه إلى يوم القيامة.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ ﴾ **فإذا كان يوم القيامة ونفخ في الصور النفخة الثانية، وبعث الناس من قبورهم، فلا تفاخر في الأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون في الدنيا، ولا يسأل أحد أحداً لانشغال كلّ واحد بنفسه.**

﴿ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ ﴾ **فمن كثرت حسناته ورجحت على سيئاته فهم السعداء الفائزون بالجنة.**

﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ ﴾ **ومن زادت سيئاته على حسناته فهم الأشقياء الذين خسروا سعادتهم وخسروا أنفسهم في نار جهنم خالدون.**

﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ ﴾ **تحرق النار وجوههم، وهم فيها عابسون مشوهو المنظر.**

﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ قالوا: ربنا غلبت علينا لذاتنا وكنا ضالين في اتباع اهوائنا، ربنا أخرجنا من النار، وردّنا إلى الدنيا، فإن رجعنا إلى الضلال فأنا ظالمون نستحق العقوبة.

﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قال الله عزّ وجلّ لهم: امكثوا في النار أذلاء ولاتخاطبوني.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

إنه كان فريق من عبادي - وهم المؤمنون - يَدعون ربنا آمنا فاستر ذنوبنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، وقد كنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ إني جزيت هذا الفريق من عبادي المؤمنين الفوز بالجنة، بسبب صبرهم على الأذى وطاعة الله.

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ ويسأل الأشقياء في النار: كم بقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيعتم فيها من طاعة الله.

﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ قالوا: لهول الموقف وشدة العذاب، بقينا يوماً أو بعض يوم، فاسأل الحُسَّاب الذين يعدُّون الأيام والشهور.

﴿ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ قال لهم: مالبثتم إلّا وقتاً قليلاً لو صبرتم فيه على طاعة الله لفزتم بالجنة، لو كان عندكم علم بذلك.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ أظننتم – أيها الخلق – أنما خلقناكم مهملين بلا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء والحساب؟

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ فتنزّه الله وتقدس الله صاحب السلطان المتصرف في ملكه، تنزّه عن العبث والنقائص وعن أن يخلق شيئاً سفهاً، لأنه حكيم.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ ومن يجعل لله شريكاً ويعبد معه سواه، لا حجة له به ولا دليل، فجزاؤه وعقابه عند الله ولا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة.

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ وقل – أيها النبيُّ – ربِّ تجاوز عن الذنوب وارحمنا برحمتك التي وسعت كلّ شيء يا أرحم الراحمين.

أهم ما يُرشد إليهِ النص

١- يُذكِّر الله خلقه أنه أنعم عليهم بالسمع والأبصار والأفئدة، مع ذلك فأكثرهم لا يشكرون. لذا وجب شكر الله على نعمهِ.

٢- وجوب الإِيمان بالبعث والنشور.

٣- وحدانية الله تعالى، فلا شريك له ولا مثيل له وليس له ولد أو زوجة.

٤- استحباب الدعاء والاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم.

٥- أن الله تعالى عادل في حكمه يجزي كل نفس بما كسبت.

٦- توجيه المؤمنين إلى العفو والصفح.

المناقشة

١- وردت كلمة ملكوت في الآية (٨٨) من هذه السورة. مامعناها؟

٢- ما واجبنا تجاه نِعم الله تعالى؟

٣- ماذا لو كان هناك أكثر من إله كما ادّعى الكفرة؟

٤- ما الآية إلتي تحثّ على العفو والتسامح في السورة؟

٥- من هم الفائزون يوم القيامة، ومن هم الخاسرون؟

وجوبُ المجاهرة بالحقِّ للشرح والحفظ

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم):

(إنَّ من أعظَم الجهادِ كلمة عدل عند سلطانٍ جائر).

صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)

معاني الكلمات

الكلمة:	معناها
الجهاد:	بذل ما في الوسع من جهد وطاقة لإعلاء كلمة الله.
سلطان جائر:	حاكم ظالم.

شرح الحديث الشريف

١- المجاهرة بالحقِّ صورةٌ من صور الإيمان ومظهرٌ من أهم مظاهره، والإيمانُ يكون محور السعادة في الدنيا والآخرة. والناس متفاوتون في إيمانهم فمنهم قويٌّ تدفعه عزيمته وجرأتُه إلى الأعمال الصالحة فتراه مقداماً في الجهاد، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر لا يبالي بالأذى إذا ناله في سبيل الدعوة إلى الخير، ويجهر بقول الحقّ في جرأة وصراحة، لا تفتّر همته في ذلك ولا يَدعُ للضعفِ إلى نفسه سبيلاً، وهذا من أعظم الجهاد، ومنهم ضعيفُ الإيمان تراهِ تراه خلاف سابقه قد قصَّر في الدعوة إلى الخير والسعي إلى العمل الصالح، فدبَّ الضعف إلى نفسه وتسرب اليأس إلى قلبه فهو لا يمتلك القدرة على المجاهرة بالحقِّ وردِّ الظلم وردع الظالم وإيقافه عند حدِّه.

٢- الإِسلام حين شرَّع الجهاد لم يقصره على صورة واحدة أو مظهر واحد حسب، بل جعله مشتملاً على صورٍ كثيرة ومظاهر شتى حتى يكون أثره كبيراً في حياة الفرد والمجتمع. فتضحيةُ الإِنسان بنفسهِ ومالهِ في سبيل الله جهادٌ، والدعوةُ إلى الخير والمعروف والنهيُ عن المنكر جهادٌ، ومحاربةُ الظلم والشرِّ والفساد جهادٌ، والسعي في تحصيل العلمِ والتزودُ بالمعرفة جهاد، وإصلاح المجتمع وخدمة الناس من الجهاد وهكذا كلُّ ما من شأنه بذل الجهد في سبيل الخير والنفع والحقّ فهو جهاد.

٣- ويؤكدُ الرسولُ (ص) في الحديث الشريف أنّ أعظم صور الجهادِ وأكثرها ثواباً عند الله أن يجهرَ الإِنسان بقولِ الحقِّ في شجاعة وصراحة أمام حاكم ظالم مستبدّ؛ لردعهِ عن الظلمِ وإيقافه عند حدّه، وإنما كان ذلك من أعظم الجهاد، لأنّ المجاهدَ في مثل هذه الحال لا يخافُ في الله لومة لائم، يُعرِّض نفسه للمخاطر والمهالك ولكنه يُؤثِر ذلك إرضاء لربِّه وإعلاء لكلمة الحقّ والعدل، وتفضيلاً لمصلحة الأمة . ومن كان هذا شأنه فهو المؤمن القوي الصادق الذي ملأ الإِيمان قلبه وغمرت الشجاعة نفسه.

٤- أما السكوت على الباطل، والخوف من مواجهة الظالم بظلمه، فدليل على ضعف الإِيمان وهو ليس من الجهاد في شيء ، وحينئذٍ سيتمادى الظالمون في ظلمهم والمفسدون في إفسادهم، فتُخذل الأمة وتهدر الحقوق ويعمُّ الفساد، ويؤكد الرسول (ص) هذا المعنى بقوله (ص): (إنَّ الناسَ إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله ان يعمَّهم بعقابة).

٥- والجهر بالحقِّ والدعوة إليه يمكن أن يكونا بوسائل مختلفة منها: الصحافة والإِذاعة والتأليف والندوات والمحاضرات ومختلف وسائل الإعلام والمجالس المنتخبة والتنظيمات الشعبية

وغيرها. وما من شك في أن الحكام إذا وجدوا وعياً من الناس ونقداً بنَّاء وتوجيهاً إلى الحقِّ والمصلحةِ العامة فإن هذا يقومهم ويجنّبهم الزلل والخطأ، ويصلح بذلك المجتمع وتتحسن أحوال الناس.

أهم ما يُرشد إليهِ النص

١- العجز عن إبداء الرأي، وعن الجهر بالحقِّ يُضعف الأمة، ويهدِدُ أمنها واستقلالها، ويشلُّ وحدتها، ويمهّد السبيل أمام المفسدين فيها والعابثين بمصالحها.

٢- صلاحُ المجتمع وانتظام حياته والقضاء على أسباب الفوضى والاضطراب فيه كلّ ذلك أمانة في أعناق أبنائه. فعلى كلِّ فرد منهم أن يقوم بنصيبه من هذه التبعة، مستهيناً بما يتحمل في سبيل ذلك من مشاق وتضحيات.

٣- يدعو الحديث الإنسان الى أن يكون قوياً قادراً على إعلان الحقّ والدفاع عنه أمام الظالمين المستبدين، وذلك من أعظم الجهاد وأفضله منزلة وهو خُلقٌ لا يتصف به إلّا أصحابُ النفوس الكبيرة والإيمان القوي.

٤- يقرُّ الحديث حرية الفكر البنّاء لجميع أفراد الأمة حتى يتمكّن المفكرون منهم من تبصير الأمة بواقعها ورسم أسس مستقبلها وجعلها قادرة على الثبات والتصدي لكلّ المحاولات التي تهدف إلى النيل منها وإلى إعاقة مسيرتها أو صدِّها عن أداء رسالتها.. رسالة الحقّ والخير والعدالة للناس كافة.

المناقشة

١- (المجاهرة بالحقِّ صورة من صور الإيمان). فما صفة مَن يجهر بهذا الحقّ؟

٢- يشير الرسول (ص) في الحديث الشريف إلى أعظم صور الجهاد وأكثرها ثواباً عند الله تعالى. فما هي؟

٣- إذا سكت المسلم على الباطل وخاف من مواجهة الظالم بظلمه، فما أثر ذلك في الأفراد؟

٤- لماذا يقرّ الحديث الشريف حرية الفكر البنّاء لجميع أفراد الأمة؟

الدرس الثالث : من قصص القرآن

النبي سليمان بن داود (عليهما السلام)

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ النمل (١٦-٢٠)

إنّ سليمان بن داود (ع) من الأنبياء العظِام، ذوي المنزلة الرفيعة والمقام الكريم عند الله تبارك وتعالى، وقد خصّه الله سبحانه بفضله العظيم ونعمه الجسيمة، حتى أنه سخَّر له الجنَّ والطير وقوى الطبيعة، لقد ورث سليمان (ع) أباه داود (ع) في الملك، وكرّمه الله تعالى بالنبوة، وبالقربى لديه، وأثنى عليه بأزكى الثناء ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ ص: ٣٠

دعا سليمان (ع) الله تعالى ما حكته الآية الكريمة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ ص: ٣٥

ولقد استجاب الله تعالى لدعاء سليمان (ع) ووهبه ملكاً عظيماً وقدرةً لا نظير لها ثم اتسع ملكه، بعد أن أجاب الله سؤاله: ليكون آية من آيات الله ودليلاً على صدق نبوّته، لينعم بأفياء عدله وطيباته جميع رعيته، فسخَّر له سبحانه الريح، وجعلها تجري بأمره.. فلا تعصيه في انطلاقها الى أية جهة يريد، وأخضع له بعض الجنّ للقيام بالأعمال التي تتطلب مهارة وقوة وسرعة كتشييد المباني الفخمة، وصنع التماثيل وغيرها، والغوص في البحار

لاستخراج نفائسها، وعلّمه منطق الطير والدواب، وهيأ له سبحانه النحاس المذاب، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ سبأ: ١٢، فكان ينبع كما ينبع ماء العين، لتلبية متطلبات تقدّم المملكة وازدهارها في مجال الفن والصناعات المختلفة، وتحقيق الرخاء والرفاه الاجتماعي.

تفقد سليمان ذات يوم الطيور التي بحوزته، فأحسّ بغياب الهدهد، فتوعّده بعقاب شديد أو الذبح، ما لم يسوّغ سبب غيابه بحجة واضحة مقنعة.

لم يمضِ وقت طويل، حتى حطّ الهدهد بين يدي سليمان، وأطلعه على هذا النبأ المهم من سبأ، قائلاً: إني وجدتُ امرأةً تملكهم وتحكمهم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله!! وهم يعبدونها بتزيين من الشيطان وإغواء منه.

(قال) سليمان بعد ان أتمّ الهدهد كلامه: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ النمل: ٢٧ ... فلا بدّ إذاً من اختبار مقالته. وكيف؟

كتب سليمان (عليه السلام) كتاباً، وأمره بأن يحمله إليهم، ثم يتوارى في مكان قريب منهم، ليسمع تحاورهم فيه.

فتحت الملكة الكتاب، وقرأت ما فيه، ثم أخبرت كبار القادة وذوي الرأي في مملكتها به، وقالت: إنه من سليمان وإنه كتاب مقتضب، استهله (عليه السلام) بالبسملة، وضمّنه أمراً واحداً، أوجزه في عبارتين وافيتين بمقصوده: لا تتكبروا عليّ، وانقادوا إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ.

وهنا حثّت الملكة من حولها من الملأ على إبداء وجهات نظرهم في هذا الموضوع الخطير، قائلة ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ النمل: ٣٢.. فلا أبتُّ بأمر إلّا بمحضركم واستماع آرائكم فيه.

عبّر الملأ عن موقفهم الدال على قوتهم ونجدتهم وبسالتهم، وفي ذات الوقت فوّضوا الأمر إليها، معربين عن امتثالهم لقرارها في المنازلة ومن عدمها.

أحسّت الملكة بميلهم إلى المواجهة العسكرية، فحذّرتهم من أخطارها وتداعياتها، بهذا الكلام الذي ينمّ عن الحكمة والتجربة: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ النمل: ٣٤، ورأت أن الأسلوب الأفضل في معالجة الموقف، هو إرسال هدية إلى سليمان، وقالت لقومها: (إن قبل الهدية فهو ملك يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبيّ صادق فأتبعوه).

وصلت إليه الهدية، فأدرك (ع) أنها رشوة، تُعطى إليه للتراجع عن موقفه المبدئيّ وهدفه الرساليّ، ولذا أبى أن يقبلها، وقال لرسول الملكة: أتمدُّوني بمال ليغرّني بريقه؟ هيهات فما آتاني الله من النعم الوفيرة والمواهب الجزيلة خير ممَّا آتاكم.

ثم هددهم بأنه سيغزوهم في عقر دارهم بجيش عظيم، يعجزون عن مقابلته، منها ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾.. أذلاء.

استسلمت الملكة للأمر، وسارت بموكبها إلى سليمان، فلما علِم (ع) بذلك، طلب من أعوانه أن يحضروا عرشها قبل أن تصل إليه!! قال عفريتُ من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وينفضُّ مجلسك. ثم قال من عنده علم من الكتاب ما حكاه قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ النمل: ٤٠

وفي لحظة رأى سليمان العرش مستقراً عنده، فاستشعر عظمة هذه النعمة، وقال هذا من فضل ربي.

ثم أمر (ع) بتغيير بعض معالم عرشها، ليختبر ذكاءها في معرفته، ويلفت انتباهها إلى هذا الأمر الخارق، فلمَّا جاءت إلى بلاط سليمان، قيل لها، وقد عرض عليها العرش: (أهكذا عرشك)؟ فتأملته، وقالت من دون نفي ولا إثبات: كأنه هو، ولكنها أدركت غرض سليمان (ع) من إحضار العرش، وأنه بصدد إظهار المعجزة الدالة على نبوّته.

ويعلل القرآن الكريم صدّها وإعراضها عن الإيمان بوحدانية الله وطاعته، بنشوئها في وسط منحرف كافر ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النمل: ٤٣ .

وتنتهي مراسيم الاحتفاء بالملكة بمقابلة سليمان (ع) في قصره، ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ﴾، ففوجئت ببهوه الذي بدا لها لُجة ماء غزير، فكشفت عن ساقيها بلملمة أذيالها، شأن من يتقي ابتلالها وهو يريد خوض ماء، فقال سليمان: هذا زجاج صافٍ (إنه صرح ممرد من قوارير)، وليس بركة ماء كما تظنين.

أيقنت الملكة بربانية هذه الآية الباهرة وما قبلها من الآيات، وبصدق نبوّة سليمان (ع) واتصاله بالله تعالى، فانتفضت، وقالت: ربِّ إني ظلمت نفسي ببعدي عن هذه الآفاق المضيئة، (وأسلمتُ مع سليمان) الذي أنار لي طريق الإيمان بالله ربِّ العالمين.. فلا إله غيره، ولا ربَّ سواه.

وقد شاء الله تعالى لهذا النبي الكريم والملك العظيم، الذي أوتي من القدرات مالم يؤتَ أحد غيره من البشر، وبلغت مملكته التي كانت تضج بالحركة والنشاط ذروة المجد شاء أن تدهمه المنية، وهو متكئ على عصاه، ولم يشعر بموته حتى الجنّ المسخرة له، إلا بعد أن أكلت دابةُ الارض عصاه وخرَّ على الأرض!!.

وفي هذه اللحظات فقط تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب لما أقاموا كل هذه المدة الطويلة في الأعمال الشاقة التي كلفهم سليمان بها وعندها علم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب.

الدروس والعبر

١- وهب الله تعالى سليمان (ع) ملكاً عظيماً وقدرة خارقة.

٢- اتسم سليمان (ع) بفضيلة الشكر، فما يُغدق عليه سبحانه نعمة من النعم، حتى اتجه بقلبه وكل كيانه الى المُنعم جلّ شانه، وفاض لسانه بكلمات الشكر والحمد والثناء: (الحمد لله الذي فضلنا... ربِّ أوزعني أن اشكر نعمتك... إن هذا لهو الفضل المبين... هذا من فضل ربي...).

إن هذه الخلة الطيبة التي تجلت في سليمان (ع) بشكل بارز، تعبر عن كرم نفسه وسموّ روحه، وعمق وفائه، وعرفانه للفضل وجميل العطاء.

٣- أرادت ملكة سبأ من خلال تقديم هدية ثمنية لسليمان (ع)، أن تلين موقفه، وعرف أن وراءها غايةً غير نزيهة، ولذا أبى أن يقبلها، وردّها عليهم، مؤكداً أنه لن يتراجع عن تصميمه على إنجاز أهدافه الربانية، ولن يتزحزح عن موقفه في مواجهة القوم الكافرين.

٤- إن الأُمة التي تسير خلف قائد نزيه، أمين على رسالة السماء، يمتثل أمر الله ونهيه، ويحكم شريعته في تفاصيل حياتها، هي أُمّة سائرة على الطريق الصحيح، الذي يوصلها إلى الأمن والاستقرار والرقي والرفاه، ويفيض عليها المزيد من الخير والبركة.

٥- أَن موقف النبي سليمان (ع) من ملكة سبأ وقومها، وسعيه في تحقيق الأمن والرفاه لرعيتّه، يدّلان على أنه كان يستخدم الحكم وسيلة إلى الدعوة الى الله تعالى، وأداة لاقامة العدل، ودفع الظلم، وخدمة الناس.

٦- من سمات العالم الحقيقي، التواضع وعدم التبجّح بما أصاب من علم، وفي هذا يبرز النبي سليمان (ع) مثلاً يحتذى به في التواضع والإنصات.

٧- أَنّ الغيب لايعلمه إلّا الله فلو كانت الجن والإنس تعلم شيئا منه لما استمرت بالعمل وقد مات سليمان (ع)، وفي هذا فضحٌ لأعمال الشعوذة والكهنة التي يقوم بها من لا يخشى الله بإدعاء علم الغيب وبيان كذبهم وزيف إدعائهم.

المناقشة

١- خصّ الله تعالى نبيه سليمان (ع) بفضائل كثيرة، اذكرها واستشهد بآية كريمة على ذلك.

٢- ما سبب تغيب الهدهد؟

٣- ماذا كان ردّ سليمان (ع) على هدية الملكة ؟

٤- ما المغزى من موت سليمان (ع) على هذه الحالة ؟

٥- مالذي فعلته الملكة بعد أن رأت معجزات سليمان؟

الدرس الرابع: الابحاث

دور المرأة في المجتمع

لقد كان للإسلام القول الفصلُ في قضيةِ المرأة، وتقييمها وتحديد موقعها من سُلّم الحياة الاجتماعية فرفض جميع الأقوال المُحرِّضة التي لاتتماشى وطبيعة المرأة وكشف عن السرِّ المودع في هذا الكائن (المرأة) ألا وهو العاطفة التي تعدَّ مادة بناء الأسرة فرفض الأقوال التي شرقت وغربت بغير هدى وهي تحاول تفسير دور المرأة وحقيقة انتسابها إلى ركب الحياة، لأَنها فشلت في بيان إنسانية المرأة وعلاقتها بالرجل ومالها وماعليها من حقوق وواجبات ودورها الواقعي في عجلة البناء الاجتماعي، والعلة في هذا الفشل هو أَنَّ هذه الأقوال مستقاة من عيون غير صافية فهي نابعة من رغبات طامحة بغير حقّ تهدف إلى النيل من كرامة المرأة وتجعل منها سلعة مبتذلة في الأسواق أو جعل المرأة سلاحا لتمزيق الروابط الاجتماعية، وسلب قدسيتها ومايستتبع ذلك من انهيار لكيان الأسرة المسلمة، وقد نسأل لماذا نقول إنَّ هذه الأصوات لم تكن صادقة ولامخلصة في صيحاتها بالمساواة وإعطاء المرأة حريتها ونسأل ما الأمور التي ينبغي للمرأة ان تتحرر منها؟!!

فإذا كانت الحرية تعني التقاءهما بالمعنى الإنساني للإنسان في حركة أبعاده المتنوعة العملية الثقافية والاجتماعية التي تتوازن فيها الخصائص والأدوار في النطاق الفردي والاجتماعي فهذا هو مايدعو إليه الإسلام.

أما الحرية التي تلتقي بالأهواء الذاتية وتغرق الإنسان في شهواته وغرائزه ومزاجياته بعيداً عن مسؤولياته في واقع الحياة، فهي التي يرفضها الإسلام.

فإذا كان العلم هو الباب الواسع الذي يلجُ منه الإنسان إلى أبعد الآفاق في المنظور الحضاري الملتزم خدمة الإنسانية فان الإسلام جعل ذلك من أهم واجبات المسلمين كما جاء في الحديث عن الرسول الكريم إذ قال: (العلم فريضة على كلِّ مسلم) وبذلك تستطيع المرأة كما يستطيع الرجل من خلال العلم مواجهة كل الحالات الطارئة التي تجعله في حاجة إلى الآخرين.

اما فيما يتعلق بالعمل فلكلٍّ شخص استعداده وطبيعته الخاصة به وتكوينه الفطري والنفسي ولاينبغي له أن يخالف اتجاهه الطبيعي أو يعاكس أهواءه واستعداده.

إنّ هذا المفهوم يصدق حتى في داخل الإنسان نفسه فكل جزء فيه مُعدّ لعمل وفائدة معينة، فتقسيم العمل ليس أمراً غريباً على مستوى الفرد والمجتمع بل حتى الدول، فتوزيع المهام بين الرجل والمرأة لايقوم على أساس تسخير أحدهما للآخر، بل على أساس تقسيم العمل وإعطاء كلّ منهما نوع المهمة التي تنسجم مع فطرته ومزاجه وطبيعة قدرته، فلم يقل الإسلام إنّ وظيفة المرأة هي الإنجاب والأمومة حسب، بل جعله أحد وظائفها وهل هذه المهمة هي أمر يسير؟!

لكن أعداء الإنسانية صوروا أن المرأة في الإسلام ليست إلا أداة عمل وآلة انتاج تحت سيطرة الرجل مما جعل المرأة المسلمة تشعر بضعف موهوم ولكن ما إن عرفت الحقيقة حتى أخذت تدخل كلّ الميادين التي تناسب قدرتها من دون أن يعوقها عن أهم واجباتها بوصفها زوجة وأمّ.

لقد جاءالإسلام بتعاليمه السمحة العادلة، لينصف المرأة ويخلصها من الممارسات الظالمة من وأد وغيره.

١ . فحفظ الإسلام حقَ المرأة :- في صيانة عرضها ، فحرّم النظر إليها ، قال تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ النور: ٣٠

٢ . حفظ الإسلام حق المرأة:- في معاقبة من رماها بالفاحشة، من غير بينة بالجلد ثمانين جلدة ، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴿٤﴾ ﴾ النور: ٤

٣ . حفظ الإسلام حقَّ المرأة :- إذا كانت أماً فأوجب لها الإحسان ، والبر، وحذر من كلمة أف في حقَّها.

٤ . حفظ الإسلام حقَّ المرأة :- مُرضِعة ، فجعل لها أجراً ، قال تعالى :

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴿٦﴾ ﴾ الطلاق: ٦

٥ . حفظ الإسلام حقَّ المرأة :- حاملاً ، قال تعالى :

﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٦﴾ ﴾ الطلاق: ٦

٦ . حفظ الإسلام حقَّ المرأة :- في السكنى ، قال تعالى :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴿٦﴾ ﴾ الطلاق: ٦

٧ . حفظ الإسلام حقَّ المرأة :- في مراعاة حالتها الصحية فأسقط عنها الصيام إذا كانت حاملاً أومرضعاً.

٨ . حفظ الإسلام حقّ المرأة :- في الوصية ، فلها أن توصي لِما بعد موتها قال الله تعالى :

﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ النساء: ١٢

ثم جاءت أحاديث رسول الله (ص) توصي بالمرأة وتحفظ حقوقها.

إذ قال (ص) : ((استوصوا بالنساء خيراً))

وقال أيضا (ص) : ((إنما النساء شقائق الرجال))

وقال أيضا (ص): ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

وقال أيضا (ص): ((ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف)).

وقال أيضا (ص) : ((الجنة تحت أقدام الأمهات))

فهذه هي المكانة الرفيعة التي جعلها الإسلام للمرأة، فالمرأة والرجل كل منهما له دور كبير في خدمة المجتمع بوصفه إنساناً. والإسلام يسعى لصيانة المرأة وحفظ حقوقها وكرامتها، فعدم تبرج المرأة والتزامها الحجاب هو صيانة لها من أطماع ضعاف النفوس.

فهل من الإنسانية أن تكون المرأة سلعة تعرض أنوثتها حتى يقال إنّها متحضرة ومتحررة.

فجمال المرأة يكمن في عفتها وحيائها لا بابتذالها وهوانها وما أجمل قول الشاعر إذ يقول:

مفاتنك ككنز فاحفظيها ... فهذا الكنز حاشا ان يعابا

فأن كشفتيها أُهينت وعزُّ ... الكنز ان يبقَ مهابا

فالاسلام هو الذي منح المرأة قيمتها وأهميتها بعد أن وصفها غير المسلمين بأوصاف شتى فمنهم من قال إنّها مصدر الشرّ والمصائب ومنهم من قال إنّها وجدت لخدمة الرجل ومنهم من أباح وأدها ومنهم من حرمها الميراث ومنهم من عاملها كأية سلعة.

فبديننا الحنيف والتمسك به يكون للمرأة دور ممتاز تُسهم من خلاله في بناء المجتمع وتقدمه، فعلينا أن ندرك حقيقة الأغراض الدنيئة الساعية للنيل من كرامة المرأة وعفتها بدعوى التقدم والحضارة.

السيدة زينب (عليها السلام)

تحدثنا عن دور المرأة في المجتمع ولعل أروع مثال للقدوة الحسنة هو السيدة زينب (ع).

نسبها: هي زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)، أُمّها فاطمة الزهراء (ع) جدّها رسول الله (ص) جدّتها خديجة بنت خويلد، ومن إخوتها الإِمامان الحسن والحسين (ع).

ألقابها: لقبت بالعقيلة أي المرأة المحترمة الكريمة النفيسة كما لُقبت بالكبرى.

زوجها وأولادها: زوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار وأولادها هم أربعة ذكور وأنثى، علي، ومحمد وعباس وعون وأم كلثوم. استشهد محمد وعون مع خالهما الحسين (ع) في واقعة الطف بكربلاء ولقد برزَ عون للقتال وهو يقول:

إن تنكـروني فأنا ابن جعفــر ... شهيد صدق في الجنان أزهر

يطيــر فيهـا بجنـاحٍ أخضر ... كفى بهذا شرفاً في المحشر

ولادتها وحياتها:

ولدت السيدة زينب في أطهر بيت وأطهر حجر في الخامس من جماديٍ الأولى من السنة السادسة للهجرة، إذ استقبل البيت العلوي البنت الأولى للإِمام عليّ (ع)، ولسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع)، و(زينب) اسم اختاره لها جدّها رسول الله (ص).

لقد عاشت السيدة زينب (ع) تحت ظلّ رسول الله ورعايته خمس سنوات وتلقت دروس التربية الراقية العليا في ذلك البيت الطاهر فأخذت منه العلم وقوة الشخصية وعزة النفس والشجاعة والعقل الوافر والحكمة، فضلاً عن الإيمان والتقوى والورع والعفاف والحياء

الذي يمكّن لكلّ ساعية لسعادة الدارين (الدنيا والآخرة) أن تأخذ من هذه القدوة التي هي ثمرة من ثمار شجرة رسول الله (ص) أسوة حسنة.

من أدوارها الإصلاحية والتوجيهية للنساء: دروس لها في معالم الدين وأحكام وتفسير القرآن. طيلة أربع سنوات في الكوفة.

وكان لها دور قياديّ أهّلها إلى أن تبقى كوكبا مضيئاً يحلق في سماء المجد والخلود ويظلّ اسمها لامعاً إلى جنب اسم أخيها الحسين (ع) رمزاً لخير من نصر الدين وصرخ في وجه الظالمين، فكان دوراً جعلته العقيلة (ع) صورة واضحة للمرأة المؤمنة المثالية من غير أن تهتز في إيمانها وصلابتها، ومثال ذلك ما حدث عندما كان يزيد يترنم فرحاً ويتشفى بقتله الإمام الحسين (ع)، والسبايا قد أُدخلت قصره فإذا بصوت العقيلة زينب (ع) يصكّ مسامعه بخطبة اقتطفنا منها هذا اليسير إذ تقول له:

((أظننت يايزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فاصبحنا نساق سوقاً في قطار كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة وامتناناً... مهلاً مهلاً لاتطش جهلا أنسيت قول الله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٨

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله (ص) سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ليس معهنّ من حماتهنّ حمي... عتواً منك على الله وجحوداً لرسول الله ولاعجب من فعلك وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه بدماء الشهداء السعداء ونصب الحرب لسيد الأنبياء... ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك، إني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعك... ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لاتجد إلّا ماقدمت، ومااربك بظلام للعبيد

فإلى الله المشتكى وعليه المعول، فكْد كيدك واسعَ سعيك، وناصب جهدك فوالله لاتمحو ذكرنا ولاتميت وحينا ولاتدرك أمدنا ولاترحض عنك عارها وهل رأيك إلّا فند وهل أيامك إلّا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة... إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل)).

نتعلم منها: لقد كانت خطبة العقيلة وسط قصريزيد وسلطانه، صرخة الحقّ المدوية بوجه حاكم ظالم، فكانت أعظم جهاد، لتناديه باسمه وتستخف به وبقوته وتفضحه وتبين جرأته على الله ورسوله ، فبينت له ماكسبت يداه من إثم وكيف ستكون عاقبته فأين هو يزيد اليوم؟ وأين الشهداء السعداء من آل بيت النبوة؟ ثم أشارت إلى حرمة المرأة وكيف يجب حفظ كرامتها وعدم هتك سترها بأن يتفحّص وجهها الغرباء ولاسيّما إذا كنّ نساء بيت النبوة الأطهار، ثم وقفت تستصغره بكل شجاعة من دون خوف وبإيمان راسخ لايتزحزح مبينة له ماستكون عاقبة فعله، ثم بينت عدل الله وكيف سيجازيه، وأشارت إلى حقيقة تحقق مصداقها حين أقسمت فوالله لاتمحو ذكرنا، نعم لازال ذكرهم على مرّ الزمان يتجدد، بالفخر والإيمان لآل بيت النبوة الأطهار ، والعار والخذلان لأعدائهم وقتلتهم، ثم ختمت خطبتها بحمد الله وثنائه وتوكلت عليه فهو حسبها. فأيّ امرأة تمتلك تلك الشجاعة لتفضح وتهين سلطان في داره وأي شجاعة وإيمان ثابت لايتزحزح وهي تحتمل مصائب الطف بصبر وجلادة ولتقف أمام جسد أخيها الحسين (ع) لتقول اللهم تقبل منا هذا القربان.

فلنا بالعقيلة زينب (ع) أسوة حسنة وهي تجسد الإيمان والصبر والشجاعة وتحمّل المسؤولية وتجاهد في الله أعظم جهاد وتلتزم شرع الله.

المناقشة

١ . أثبت الإِسلام للمرأة حقوقاً . تحدث عنها .

٢ . في خطبة العقيلة زينب (ع) إشارة إلى ضرورة صون المرأة لعفتها وحجابها وعدم تفحّص الرجال لوجهها .

٣ . في سيرة العقيلة العطرة مواقف تدلّ على الصبر ، تحدث عنها .

٤ . إنّ السيدة زينب (ع) تعدّ بحق المرأة القدوة ، فقد جسّدت قيم الإِسلام ، بيّن تلك القيم ومواضعها .

٥ . فكدْ كيدك واسع سعيك ، وناصب جهدك فوالله لاتمحو ذكرنا ولاتميت وحينا ولاتدرك أمدنا ولاترحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند وهل أيامك إلّا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين .

علامَ يدل هذا الجزء من خطبة العقيلة (ع) ؟

حسبنا الله ونعم الوكيل

الدرس الخامس: التهذيب

أدب الاختلاف

الاختلاف هو التباين في الرأي، والمغايرة في الأفكار.

الاختلاف بين الناس أمر ملازم لطبيعة الإنسان، وذلك عائد إلى عدم اتفاق أغراض الناس وأهدافهم، وأفهامهم، وقوى إدراكهم.

وأدب الاختلاف في الرأي واحد من أُسس رقي مسيرة الوعي وتقدمها لدى أبناء المجتمع الإسلامي. والاختلاف عنصر فاعل لابدَّ من التآلف والتكيّف معه، فضلاً عن الاعتماد عليه وصولاً إلى الحلول الناجعة.

ويقرر القرآن الكريم في عدد من آياته الكريمات أنّ مشيئة الله –سبحانه وتعالى– اقتضت أن يخلق الناس مختلفين، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ هود: ١١٨، وآية أخرى تؤكد أنّ الله وحده الذي صيّر هذا الاختلاف وجعله من ثوابت الحياة، قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٤٨﴾ المائدة: ٤٨ .

ثم ان هذا الاختلاف ليس متعلقاً بالإنسان وحده، إنّما هو من ثوابت نظام المخلوقات جميعاً في هذا الكون المتسع كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ فاطر: ٢٨

إذن، وجود الاختلاف ضرورة من ضرورات الكون، ووجود أكثر من وجهة نظر، أو رأي في موضوع واحد لا يمكن تفسيره على أنه حالة سلبية، بل العكس من ذلك، فإنها حالة إيجابية تحتضن فائدة لابدّ منها في أيّ نقاش يجري بين مجموعة من الأفراد، فأعقل الناس من جمع إلى عقله عقول الناس.

وقد قبل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة اختلاف المسلمين بينهم أو مع غيرهم بحدود الشريعة وضوابطها . وما مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام الإ تشريعاً لهذا الاختلاف الحميد، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ إلى جانب عدد من النصوص الكريمة، ومنها التي يقول فيها الحقّ - سبحانه - ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾، وقوله : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾، وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾.

وفي التوجه نفسه، قال المصطفى (ص) : (لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله اخواناً)، وقال (ص): (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا)، وقد عرفنا عن نبينا الأكرم أنه كان يستشير أصحابه، ويستمع الى آرائهم وأفكارهم. وكان يُنصِت إلى أصحابه، ولم يلمُ أحداً على رأيٍ أبداه، أو موقف تبناه، وما تعصّب أحد منهم، ولا تحزّب، بل كان الحق غايتهم والمصلحة رائدهم.

ولأنّ النبي الأكرم قدوتنا، فيجب على كلّ منّا أن يتجنب الخلاف، اتباعاً لأمر الله، وتطبيقاً لسنة نبيه الكريم ، وإن كان لابدّ من اختلاف أو تقاطع فينبغي الرجوع إلى النبع الصافي، إلى الإسلام الذي يدعو دائما إلى الألفة والمحبة والتراحم والتعاطف، ومن هو بعيد عن هذه الدعوات، ومن يدعو إلى عكسها فهو بعيد عن الإسلام.

إنّ مسألة أن يكون لكلّ منا وجهة نظره أو رأيه، في حقيقة الأمر ، مسألة مهمة ودقيقة جداً، ولابدَّ منها في كلَّ نقاش وحوار ، لأنها تعكس شخصية الفرد وعقليته، ومستوى وعيه وثقافته، فضلاً عن نفسيته، فعن الإمام علي بن أبي طالب (ع) أنه قال: (اللسان ترجمان الجنان)، لذلك لابدَّ في كل حوار أو نقاش في شأن تختلف حوله الآراء ووجهات النظر أن يستند إلى قواعد وأسس ثابتة قوية، إذا ما توافرت صار تبادل الآراء والاختلاف بشأنها مثمراً ومفيداً تبعاً لذلك.

ومن قواعد التحاور والنقاش في شأن مختلف فيه مراعاة حرية رأي الجميع وعدم الاستبداد بالرأي وفرضه على الآخرين، وضرورة استمرار الود واللطف والتواصل بين أفراد الحوار مهما اشتد الاختلاف وامتد، مع ضرورة عدم الاستهانة بآراء الآخرين وأفكارهم مهما كانت ساذجة أو بسيطة أو غير صحيحة، ويجب على من يمتلك شيئاً من الثقافة والدراية وخزين معلومات حول موضوع النقاش ألّا يستعرض نفسه ومعلوماته بغرور وعجرفة وأن يعترف بالخطأ وينزل إلى ما هو حقّ. وفضلاً عن ذلك يجب أن تكون الأفكار المطروحة مبنية على أسس سليمة وعدم الجدال بشأنها دون دراسة دقيقة وموضوعية ومن غير علم ، واستماع الآراء وانتخاب الافضل منها، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ الزمر: ١٧ - ١٨

وأخيراً يجب الابتعاد عن التطرف والتعصب مع مراعاة الأدب في الشأن المختلف فيه، مثل حسن الاستماع، وعدم المقاطعة والتواضع وجميل الكلام ولينه، وقدوتنا في ذلك هو الرسول الأعظم الذي قال عنه الحق عزّ وجلّ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ القلم: ٤

وقال (ص) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

المناقشة

١- ماذا يقصد بالاختلاف؟ وهل يُضعف الاختلاف الأمة الإسلامية؟

٢- هل خلق الله تعالى الناس مختلفين أو متشابهين في الإنسانية وباقي مخلوقاته؟

٣- لماذا بقي الخلاف محدداً بحدود الشريعة وضوابطها؟

٤- لماذا جعل الله الخلاف ضرورة من ضرورات الكون؟

٥- هل كان نبي الرحمة محمد (ص) يستشير أحداً ويستمع إلى آرائهم وأفكارهم؟

٦- هل التطرف والتعصب من أخلاق ديننا الحنيف؟ استشهد لكلامك بآية كريمة.

٧- لماذا أمرنا ديننا الحنيف بالاختلاف ونهانا عن الخلاف؟

الوحدة الرابعة

الدرس الأول : من القرآن الكريم

سورة القصص من الآية (١ – ٢٢) **آيات الحفظ (١ – ٦)**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ
أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ
وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا
خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ
خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ
وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن
رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ
وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ
لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ
هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ
عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ
لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾

فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ
(١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ
إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا
خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي
سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (٢٢) ﴾ **صدق الله العلي العظيم**

معاني الكلمات

الكلمة :	معناها
شيعاً :	فِرقاً وأصنافاً .
يستحيي نساءهم :	يبقيهنّ أحياء للخدمة .
نمُنّ :	نتفضّل وننعم .
نمكّن لهم في الأرض :	نجعل لهم فيها سلطة .
هامان :	وزير فرعون ، مستشاره .
اليمّ :	البحر ، الماء الكثير (نهر النيل) .
فارغاً :	خالياً من كلّ شيء سوى موسى .
ربطنا على قلبها :	قويناه بالصبر والتثبيت .
قصّيه :	تتبعّي أثره وتعرّفي خبره .
وكزه :	ضربه بجمع كفه على الصدر .
لغويّ :	لشديد الضلال .
تلقاء مدين :	جهة قرية (مدين) وهي قرية نبي الله (شعيب (عليه السلام))

المعنى العام

﴿ طسٓمٓ ۝١ ﴾ ذكرت هذه الحروف في أول بعض السور بياناً لإعجاز القرآن، وإنّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركّب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، ولهذا كلّ سورة افتتحت بالحروف، غالبا ما يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته.

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ هذه آيات القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- مبيّناً لكلّ ما يحتاج إليه العباد في دنياهم وأخراهم.

﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾

نقصّ عليك - يامحمد - من أخبار موسى وفرعون بالصدق لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدّقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه. إن فرعون الطاغية استكبر وتجبر، وجاوز الحّد في الطغيان في أرض مصر، فجعل أهلها طوائف متفرقة، ويستضعف (بني اسرائيل) يذبّح أبناءهم، ويترك الإناث للخدمة إنه كان من المفسدين في الأرض. نريد أن نتفضّل على الذين

استضعفهم فرعون في الأرض، ونجعلهم قادة في الخير ودعاةً إليه، ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه. ونُري الطاغية ووزيره (هامان) وجنودهما، ومن معهما ما كانوا يخافون من ذهاب ملكهم وهلاكهم فنعاقبهم بذهاب ملكهم.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ وألهم الله تعالى أمّ موسى حين ولدته أن أرضعيه مطمئنةً، فاذا خشيت أن يعرف أمره فرعون فيذبحه؛ إذ كان يذبّح كلَّ ذكر يُولد خوفاً على عرشه وملكه، فضعيه في صندوق وألقيه في النيل من دون خوف من أن يقتله فرعون وقومه، ومن دون حزن على فراقه، فنحن رادّوهُ إليك وجاعلوه رسولاً. فوضعته في صندوق وألقته في النيل، فعثر عليه أعوان فرعون وأخذوه، فكانت عاقبة ذلك ما قدّره الله تعالى بأن يكون موسى عدواً لهم بمخالفة دينهم، ومن بعد ذلك، إغراقهم وزوال ملكهم على يده ، إنّ فرعون وهامان وأعوانهما كانوا آثمين مشركين.

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ولما شاهدته امرأة فرعون ألقى الله محبته في قلبها، وقالت لفرعون: هذا الطفل سيكون مصدر سرور لي ولك، لاتقتلوه ، فقد نصيب منه خيراً، أو نتّخذه ولداً، وفرعون وآله لايدركون أن هلاكهم على يديه.

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

صار قلب أم موسى خالياً من ذكر كّل شيء في الدنيا ، إلّا من ذكر موسى ، وكادت أن تظهر أنه ابنها ، لولا أن ثبّت الله قلبها ، فصبرت ، لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به .

وقالت أمّ موسى : لأخته ألقيه في اليم واتّبعي أثره حتى تعلمي خبره ، فتتبعت أثره ، عن بعد ، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته ، وأنها تتبع خبره ، حتى وصل الصندوق إلى بيت فرعون .

ومنعنا موسى أن يقبل ثدي أيّ مرضعة ، فخرجوا يبحثون عن مرضعة خارج القصر ، فرأوا أخته فقالت لهم : هل أدلّكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه ، وهم مشفقون عليه ؟ فأجابوها إلى ذلك ووافقوا على عرضها . فرددنا موسى إلى أمه كي تقر عينها به ، ووفينا اليها بالوعود ، ولكن أكثر الناس يرتابون ويشكون في وعد الله القاطع .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

ولما بلغ موسى واشتدت قوته ، وتكامل عقله ، آتيناه حكما وعلماً يعرف بهما الأحكام الشرعية وبمثل هذا الجزاء الكريم نجازي المحسنين– من عبادنا– على إحسانهم .

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

ودخل موسى المدينة مستخفياً وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يتقاتلان: أحدهما من قومه، والآخر من قوم فرعون، فطلب الذي من قوم موسى نصرته على الذي من عدوه، فضربه موسى بجمع كفه فهلك، ندم موسى (ع) على فعلته وقال : إن هذا فعل الشيطان وهو عدوّ لابن آدم، مضلّ له عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة. ثم قال موسى: ربّ ظلمت نفسي بقتل النفس، فاغفر لي، فغفر الله له، إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. وقطع موسى (ع) عهداً على نفسه وقال: ربِّ بما أنعمت عليّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة، فلن أكون عوناً لأحد من المجرمين.

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

فأصبح موسى في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفاً على نفسه، فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي خلّصه بالأمس يقاتل قبطياً آخر، ويطلب منه المساعدة، قال له موسى: إنك لكثير الغواية ظاهر الضلال. فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي، قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ ما تريد يا موسى إلّا أن تكون طاغية في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين بين الناس.

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

وجاء رجل من آخر المدينة مسرعاً، قال : ياموسى إنّ وجوه قوم فرعون وزعماءهم يتشاورون فيك بقصد قتلك ، فأخرج من هذه المدينة إنّي لك من الناصحين المشفقين.

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ فخرج موسى من المدينة خائفا على نفسه يترقّب ويحذر أن يدركه أنصار فرعون فيأخذوه فسأل الله ان ينقذه من القوم الظالمين .

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ولما قصد موسى بلاد (مدين) ، قال : لعلّ الله يرشدني إلى الطريق السوي الذي يوصلني إلى (مدين) .

أهم ما يُرشد إليه النص

١- بيان تدبير الله تعالى، ولطفه، وعنايته ، بأنبيائه والصالحين من عباده، وتجلّى ذلك في إلهامه الى أم موسى بإرضاعه، وإلقائه في البحر، والتقاط آل فرعون لموسى، ليتربى في بيت الملك عزيزاً مكرماً. وبعد ذلك تحريم المراضع عليه ليعود إلى أحضان امّه، كلّ ذلك من لطف الله تعالى وعنايته .

٢- بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة، وتجلىّ ذلك فيما حلّ بفرعون وهامان وجنودهما.

٣- فضيلة الرجاء تجلت في قول زوجة فرعون «قّرة عين لي ولك» فقال فرعون : أما لي فلا . فكان موسى (ع) قّرة عين لزوجة فرعون ولم يكن كذلك لفرعون .

٤- أنّ وعد الله حق، وأنه تعالى لا يخلف الوعد ولا الميعاد .

٥- بيان إنعام الله على موسى (ع) بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة .

٦- وجوب عدم التعصب والتسرع في الأفعال والأقوال .

٦- وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل، وأول التوبة الاعتراف بالذنب .

٧- وجوب شكر النعم والتوبة عن الذنوب، فموسى شكر الله لما غفر له و تعهد لله أن لا يقف إلى جنب مجرم أبداً .

٨- شرّ مصاحبة الأحمق والغوي إذ تسبب الإسرائيلي بالمتاعب لموسى (ع) .

١٠- وجوب النصح وبذل النصيحة لأهل الإيمان، فمؤمن آل فرعون نصح موسى (ع) بالخروج من المدينة .

المناقشة

١- استهلّ عدد من الآيات الكريمة بالحروف المقطعة، أجب عن الآتي :

أ- ابحث في القرآن الكريم عن بعض السور التي بدأت بالحروف المقطعة، وثبّت هذه الحروف مع اسم كل سورة (نشاط) .

ب- بيّن سبب تصدر هذه الحروف .

جـ- كلّ سورة افتتحت بالحروف، غالباً يُذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم، وبيان إعجازه وعظمته، وضّح ذلك بالأدلة .

٢- تحدّث عن طغيان فرعون واستكباره، ثم اذكر أدلة على هذا الطغيان .

٣- هذا وعد من الله سبحانه لأم موسى، تحدّث عن ذلك .

المفلس في الآخرة — للحفظ والشرح

قال رسول الله (ص): (أتدرون مَن المفلس؟) قالوا: المفلسُ فينا مَنْ لا درهمَ له ولا متاع، فقال: (إنَّ المفلسَ من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ، وصيامٍ وزكاةٍ. ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيعطي هذا من حسناتِه، فإنْ فَنيتْ حسناتُه قبل أن يَقضي ما عليه، أخذ من خطاياهُم، فطرحتْ عليه ثم طُرِحَ في النار).

صدق رسول الله (ص)

معاني الكلمات

الكلمة:	معناها
متاع:	بضاعة .. حاجات أو أثاث.
شَتَمَ:	سبّ.
قذف هذا:	اتهمُه بالزنا بلا بيّنة شرعية.
سفك دم هذا:	أهرق الدم، وهدرهُ، والمراد به القتل.
خطاياهم:	ذنوبهم.

شرح الحديث الشريف

١- يهتم الإسلام بتصحيح المفاهيم غير الصحيحة التي تحكم آراء الناس وأفكارهم، ذلك لأنّ كثيراً من الناس شغلتهم الدنيا، وتصورات بعضهم تتقيد بالمنافع المادية فيها وأكثرهم غافل عن الآخرة... فعندما سأل النبي (ص) الصحابة عن المفلس في عُرفهم قالوا: إنه من لا يملك درهماً ولا متاعاً... فوضّح لهم الرسول (ص) أن هذا الإفلاس ينتهي أثره بانتهاء العمر، ويمكن التخلص منه بالعمل والربح أو بمساعدة الآخرين له أو ما إلى ذلك.

أما المفلس الحقيقي فهو من أُخذت حسناته وفاء بسيئاته وأُعطيت لغيره تعويضاً لهم عن السيئات التي اقترفها بحقِّهم، فضاعت منه حسناته، وقد يؤخذ من خطايا غيره فتطرح عليه.. ويكون مصيره النار .

٢- البرّ : هو الخيركلّه وهو عمل متكامل يتمم بعضه بعضاً. والبرّ والمنكر ضدان لا يجتمعان أبداً... وبتعبير آخر فالإيمان والإسلام لايجتمعان مع المنكر أبداً. فمن دروس هذا الحديث الشريف وعبره نفهم ذلك.. ونفهم أيضاً أن الصلاة التي قال عنها رب العزة: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥

هذه الصلاة لا يمكن أنْ تجتمع مع شتم المسلمين أو قذفهم أو أذاهم.

قال تعالى : ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ الهمزة: ١

أو أكل مالهم بالباطل أو سفك دمائهم والإعتداء عليهم.. أو ما يماثل ذلك من الذنوب والخطايا، لأن الصلاة تزكّي النفس وتطهّرها وتسهِّل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة وطرد الإخلاق الخبيثة، والصلاة تشعر الإنسان بصلته الدائمة المستمرة بالله تعالى ... وهذا الشعور يُبعد الإنسان عن الفحشاء والمنكر والعدوان خوفاً من الله تعالى أو حياءً منه.. وهذه المشاعر كلّها تؤدي إلى أن يُحلّق المؤمن المصلي في جوٍ من السموِ الروحي يستعلي به على النزوات والمحرمات، فيجد نفسه في القمة العالية ويرى تلك المحرمات في الوادي السحيق، وهما لا يجتمعان.

فالصلاة على طرفي نقيض مع كل فُحش أو منكر... وأمّا إذا اجتمع عند المصلي، الصلاةُ وسوء الفحشاء والمنكر.. فصلاةُ مثل هذا المصلي، ليست صلاة... بل هي حركات مجردة لا ترتبط بالله ولا بالإِيمان ولا بأدنى شروط الصلاة التي أرادها الله...

قال (ص): (ان الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم). وقال (ص) أيضاً في حديث آخر: (إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكلّ امرئ ما نوى).

فالله سبحانه يحاسب على ما في القلب ولا تهمه المظاهر الكاذبة، فالمظاهر قد تخدع البشر حيناً من الزمن لكنها عند الله مكشوفة و معروفة، قال (ص): (أولُ ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة. فإِن صلُحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله).

تلك هي منزلة الصلاة.. فهي مقياس إيمان الفرد. وحسن إيمانه يؤدي إلى حسن سلوكه، فالصلاة إيمان وتطبيق وليست مجرد حركات، ومن هنا وصفت بأنها عمود الدين، قال (ص): (الصلاة عمود الدين من أقامها أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين).

والصيام أيضاً.. برٌّ وعبادة.. ويجب أن يتجّرد الصائم عن المعاصي والذنوب.. وأن يبتعد عن أي منكر كان، وإلّا كان الصيام مجرّد جوع وعطش ولا علاقة له بالعبادة.. قال (ص): (كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش) وهكذا، فالصيام مع المنكر كالصلاة مع المنكر، كلاهما: إفلاسٌ وتعب دونما مثوبة أو جزاء.

والزكاة حالها كحال الصلاة والصيام.. قال (ص) : (من أدى الزكاة مؤتجراً فله أجره) ومعنى مؤتجراً فله اجره: يطلب الأجر من الله تعالى... فلا أجر في الزكاة مع المنكر، ويحرم أكل أموال الناس بالباطل فهو حرام وأثمٌ وذنب عظيم... وعدم صون اللسان وعدم السيطرة على زمامه، وإعماله في الطعن والتعريض والشتم والقذف بالمسلمين وأعراضهم، وعدم ردعه عن الغيبة والنميمة والكذب والبذيء من القول... ذلك كلُّه يعني: مجافاة الإيمان والخلق الإسلامي، ومعناه الإفلاس.

قال (ص) : (ليس المسلمُ بطعّانٍ ولا لعّانٍ ولا فاحشٍ ولا بذيء) وقال أيضاً (سبابُ المسلم فسوق ، وقتاله كفر).

فليس من الإسلام في شيء قذف المسلمين واتهامهم بالفاحشة أو الزنى... فالمؤمن يحفظ لسانه من الزيغ والزلل.

ويأبى عليه إيمانه الإنحدار لمثل هذه الهوّة، قال (ص) في بعض حديثه. (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

ومن كبائر الذنوب قتل النفس، قال (ص) : (الكبائر : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس) .

فالمفلس إذن... مفلس الدرجات العُلى في الدار الأخرة، الذي أضاع أعماله في الدنيا، من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وغيرها من طيب الفعل وبرّ العمل، لأنه جاء بالمنكر مع البرّ.

فسبَّ هذا وأتهم هذا بالزنى وأكل مال هذا بغير رضاه. وبغير حقَّ، وأهرق دم هذا، وضرب ذلك، فيعطي كل واحد من هؤلاء حقَّهُ من حسناته. بأخذ غرمائه لها قبل أن يقضي ما عليه من التبعات فإن انتهت حسناته ، أخذ من ذنوبهم فطرحت عليه. ثم طُرِح في النار ... وهذا إفلاسٌ مابعده من إفلاس .

أهم ما يُرشد إليهِ الحديث

١- الصلاة والصوم والزكاة.. أركان مهمة في الإسلام ، وفي أدائها ، على وجوهها المطلوبة. يكون المسلم قد نهض بعمل من أجلِّ الأعمال التي تُصلِح مسار حياته كلها.

٢- لايجتمع البرُّ والمنكر عند المسلم في آن واحد ، فأما هذا وأما ذاك. وإن اجتمعا ، فهذا هو الإفلاس يوم القيامة .. فلو كان العمل الطيب مؤثراً في المسلم لدفعه بعيداً عن المنكر .

٣- المظاهر وحدها لاتكفي ، فيجب أن تقترن بالإيمان المؤثّر في قول المرء المسلم وفعله. والأعمال بالنيات لا بالحركات... فالله سبحانه لاتخفى عليه خافية.

٤- اللسان أداة بناء عند المؤمنين . وله تأثير عظيم في الإصلاح لأنه يأتي بالطيب والثناء من القول وبعكسه عند الفاسق ، فهو أداة هدم وقذف وشتم وتفريق وغيبة ونميمة.

٥- استنكر الحديث الشريف بقوة أكلُ أموال الناس بالباطل وقتلُ النفس.. وحذَّر من أن فاعلهما مآله الخسران والإفلاس... والنار مآواه يوم القيامة.

٦- يريد الحديث من المسلم معاملة الناس بالحسنى كما قال (ص) : (الدين المعاملة) ، أي التعامل الحَسَن مع المسلمين.

المناقشة

١- مَن المفلس في نظر الناس ؟ و مَن المفلس في نظر الإسلام ؟

٢- ماجزاء الذين يؤدون حقَّ الله ، ولايؤدون حقوق عباده ؟

٣- ما سبب الإفلاس الذي يصيب بعض الناس الذين يؤدون العبادات ؟

٤- كيف يحافظ المسلم على أعماله من الضياع؟

الدرس الثالث : من قصص القرآن

نبي الله إسحاق (ع)

قال تعالى:

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ
وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ الصافات ١١٢-١١٣

كان نبي الله ابراهيم (ع) قد تزوج من ابنة عمه (سارة) ولم ينجب منها. حتى هرِم وشاخ وكذلك زوجته سارة، ولذا فقد تزوج من السيدة هاجر وأنجب منها ولدهُ إسماعيل (ع).

ولقد تمنى إبراهيم (ع) وتمنّت سارة لو يكون لهما ولد، إلّا أنّ الله سبحانه وتعالى لم يشأ ذلك حتى بلغ إبراهيم (ع) المائة من عمره الشريف أو يزيد- كما جاء ذلك في الأخبار- وقد قالت سارة لإبراهيم (ع): (قد كبرت، فلو دعوت الله أن يرزقك ولداً تقرُّ أعيننا به، فإن الله اتخذك خليلاً وهو مجيبٌ لدعوتك).

فسأل إبراهيم (ع) ربَّه أن يرزقه غلاماً عليماً، وبشرته الملائكة بما قاله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الحجر: ٥٥

لقد بشرت الملائكة إبراهيم (ع) بابنه إسحاق (ع) وكانت امرأته سارة واقفة في إحدى زوايا البيت وسمعت البشرى، وضحكت تعجباً إذ إنها لم تكن تتوقع أن تُنجب وقد صار زوجها شيخاً طاعناً في السنِّ، فيما كانت هي أيضاً قد كبرت وشاخت

وصارت عاقراً وعمرها قد تجاوز التسعين، لكن ملائكة الله سبحانه قالت لها: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ وقد كانت البشرى أنّ الوليد سيكون نبياً ومن الصالحين: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ ﴾

الصافات: ١١٢ ، وقال تعالى :

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾

هود ٧١-٧٣

وولِد اسحاق (ع) الابنُ المُنتظر لنبي الله ابراهيم (ع) وزوجته سارة وكان غلاماً عليماً ونبياً، وهنا جاء تنبيه الملائكة لها ﴿ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ وهو الذي لا يعجزه شيء والقادر على إجراء الأمور على خلاف العادة إذا اقتضت الحكمة ذلك، وقد شمل الله تعالى إبراهيم وأهل بيته بلطفه ورحمته وعنايته بما أخلصوا له في أقوالهم وأعمالهم، وهذه البشارة هي من رحمة الله وفضله وبركته عليهم.

وبذلك علمت سارة بأن الله يرحم من يشاء وهذه القصة تعطينا عبرة وموعظة بإن لا نيأس من رحمة الله مهما تأخرت الاستجابة للدعاء.

المناقشة

١- كم زوجة لنبي الله إبراهيم (ع)؟

٢- مَنْ الذي بشّر إبراهيم (ع) بإسحاق (ع)؟

٣- ما عمرُ ساره عندما ولدت إسحاق (ع)؟

٤- هل ييأس المؤمن من رحمة الله في أوقات الشدة، ولماذا؟

الدرس الرابع: الإبحاث

العمل في النظام الاقتصادي الإِسلامي

أ- أهمية العمل في الإِسلام:

لكي ندرك أهمية العمل في الإِسلام، وحقيقة نظرته إليه، لابدَّ من المقارنة بين نظرة الإِسلام إلى العمل ونظرة العصور التي سبقت مجيئه.

العمل قبل الإِسلام

كان قسم من العرب في العصر الذي سبق الإِسلام يعيشون في مدن وقرى عامرة، كانوا يحترفون الزراعة وتربية الحيوانات، ويصنعون ما يحتاجون إليه من أدوات وأنسجة وأسلحة. كما كانت فئة منهم تعمل بالتجارة، من هؤلاء عرب اليمن، وعرب الشام والعراق، وعرب الخليج.

وهم صيادون وغواصون لاستخراج اللؤلؤ، أما أهل مكة، وهي أمّ القرى، فهم تجار، وأهلُ يثرب (المدينة) زرّاع. وكانت التجارة تدرُّ على أهلِ مكة أرباحاً طائلة، إذ كانت قوافلهم هي الواسطة بين الشرق والغرب، وهم نقلة البضائع بين بحر العرب جنوباً وموانئ البحر المتوسط شمالاً، وعرب شمال الجزيرة واسطة لنقل البضائع من موانئ الخليج العربي إلى موانئ البحر المتوسط.

وكان القسم الآخر بدواً، وهم العرب الذين يعيشون في أواسط الجزيرة، ويعيشون على الرعي والصيد ، ويفرضون الأتاوات على القوافل المارة بمضاربهم.

وقد ظل البدو (الأعراب) قبل الإسلام يحتقرون الحرف، فأطلقوا على أعمال الزراعة والصناعة وحرفها اسم (المهن). وكلمة (امتهن) تعني: ذل، لأنها من مادة المهانة.

ولما كانت التجارة وفيرة الربح، تكونت لدى التجار آراء شبيهة بهذه.

فقد أصبح العمل عندهم يعني المهانة وابتذال النفس. فالرجل منهم لا يقوم لعمله، فضلاً عن خدمة غيره، وهو يستنكف الخدمة لنفسه أو لغيره، إذ كان لهم من الخدم والعبيد والإماء ما يكفيهم كل عمل. فالسيد المحترم - في عُرفِهم - من عاش آمراً ناهياً، فارغاً عاطلاً يخدمه غيره من رعاة إبله ورعاة شياهه والصنّاع من عبيده وخدمه. ومن هنا نتبين منزلة العمل والعمال في المجتمع الذي يسوده التجار، والمجتمع الذي يعيش فيه البدو، مثل مجتمع مكة، أو القبائل التي تسكن الصحراء، بل قد نذهب الى أبعد من ذلك، فأهل المدن والقرى ممن يحترفون الزراعة محتقرون في رأيهم، فقد كانت قريش - أو بعضها في الأقل- تحتقر أهل المدينة لانهم زرّاع.

العمل في الإِسلام

جاء الإِسلام رحمة للعالمين، جاء لإِزالة كلِّ التناقضات التي تنخر في جسم المجتمع: جاء لينصف الفقراء من الأغنياء وينصف الأغنياء من أنفسهم. جاء ليعيد للإِنسان قيمته، ويحفظُ له كرامته، ويعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه، ويحفظُ للناسِ أشياءهم أن يبخسها باخس.

وكانت أوّل مبادئ الإِسلام أنَّ الله خالق كلَّ شيء. مدَّ للإِنسان مائدته: هذه الأرض وما عليها من زرعٍ وأحراش وغابات، وما يجري عليها من أنهار، وما يتفجر فيها من عيون، وما في باطنها من كنوز، وما يُنزله من السماء من ماء يحيي به الأرض الميتة، وما في الأنهار والبحيرات والبحار من لحم طريّ وحلية .. هذه المائدة خلقها الله تعالى للناس كافة... وجعل وسيلتهم إلى اكتساب ما يريدون هو العمل. العمل الصالح الشريف، العمل الذي لا ضرّر فيه ولا ضرار قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (الملك: ١٥).

هكذا رفع الإسلام شأن العمل، وأعلى منزلّته، ورفع منزلة الإنسان العامل ، بل جعل العمل الصالح مقياساً للتفاضل بين الناس، ولم يفرق بين العمل الذي هو فريضة عبادة، والعمل الذي هو وسيلة معيشة ورزق. وقد أجاب عن السؤال الدائم الذي يدور في خلد الإنسان: ما سبب وجودي على الأرض؟! فقال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦

والعبادة- كما قدمنا في فصول سابقة- فيها الفرائض التي أوجبها الله تعالى لإصلاح النفس البشرية والمجتمع الإنساني، وفيها إعمار الأرض :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: ٦١

فالعملُ هو سرُّ وجود الإنسان على هذه الأرض، وسرّ تقدم الحياة وازدهارها.

العمل في النصوص الإسلاميّة

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن أحكاماً شاملة للعمل وتقديره. فهو بحق ثورة اجتماعية على العصر، بل على العصور التي سبقته والمفاهيم الخاطئة التي فيها، قال تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ التوبة: ١٠٥

فالحياة ساحة للعمل الصالح، بطاعة الله وخدمة الناس وكلّ ما يصلح حال الإنسان ومجتمعه. وأنَّ الله ورسوله والمؤمنين ينتظرون رؤية العمل. هذا العمل هو كلّ ما للإنسان، قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ النجم: ٣٩-٤٠

والعمل - في نظر القرآن الكريم- نعمة ، قال تعالى :

﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يس: ٣٥

وهل يكون شكر النعمة بغير حفظها والمداومة عليها؟! وأجر العمل محفوظ لا يضيع.

وهل أصدق من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ الكهف: ٣٠

وأجر العمل الحسن سعادة في الدنيا وثواب في الآخرة، إنّ ما أجمله القرآن الكريم فَصَّله الرسول (ص)، فقال: (إنّ أشرف الكسب كسبُ الرجل من يده). والعمل في سبيل الرزق مثل العمل الصادق في عبادة الله. قال رسول الله (ص): (من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له)، بل إنَّ العمل في سبيل الرزق مقدم على العبادة غير الواجبة (ليست العبادة عندنا أن تصفّ قدميك وغيرك يقوِّت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبّد).

ب- العمل حقّ للجميع وواجبٌ على الجميع:

حثَّ الإسلام على العمل، كما رأينا، وحارب البطالة. ومن المعروف أن أكثرية الكادحين لا يجدون وسيلة للامتلاك غير العمل. فهم لا يعتمدون على إرث أو هبة. وقد كره لهم الإسلام التواكل، وفضَّل العاملين على القاعدين، حتى أموال الدولة، فقد حجبها عن الغني المقتدر، كما حجبها عن القوي الممتنع عن العمل. وقد جعل العمل حفظاً للكرامة الإنسانية من ذلِّ السؤال.

إنّ جعلَ العمل حقّ للجميع، إنّما هو تشريعٌ لصالح الطبقات الكادحة، ووجوبه على الجميع ولكي يمتنع الكسالى من استمرار كسلهم وتواكلهم، قال رسول الله (ص):

(إنّ الله يُحبُّ العبد المحترف، ويكره العبد البطَّال). إنَّ أحبّ شيء للمسلم هو حبُّ الله له ورضوانه عنه، وأخشى ما يخشاه المسلم كُره الله له، وغضبه عليه. قد أوجب الله تعالى على المؤمن حفظ كرامة الإنسان من إراقة ماء الوجه، وذلّ السؤال. قال رسول الله (ص): (لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه).

روي عن أنس (رض) أنَّ رجلاً من الأنصار أتى النبي (ص) فسأله، فقال له: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس (كساءٌ غليظ) نلبس بعضه، وقعب (إناء) نشرب فيه الماء، قال: ائتني بهما. فأتاه بهما. فأخذهما رسول الله (ص) بيده وقال: من يشتري هذين: قال رجل أنا آخذهما بدرهم، فقال (ص): من يزيد في ثمنهما: فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال اشتر باحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فائتني به، فأتاه به، فشدَّ فيه رسول الله (ص) عوداً بيده، ثم قال: إذهب فاحتطب و بعْ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل، فجاءه بعد وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله (ص): (هذا خيرٌ لك من أن تجيء والمسألة (أي سؤال الناس) نكتة في وجهك يوم القيامة).

والإسلام - وقد أوجب الكسب عن طريق مشروع-، فقد قطعَ الطريق على الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عن طريق الربا والاحتكار والغش وغيره من المعاملات المحرمة وتوعدهم عذاباً عظيماً.

والقرآن الكريم يعطي من عِبره العظيمة ما يجعل العمل مقدساً ومحترماً لكلّ إنسان، فهؤلاء أنبياء الله ورسله وهم صفوة خلق الله كانوا يأكلون من كدِّ أيديهم، ويسعون في الأرض طلباً للرزق، فقد كان نوح (ع) نجاراً، وكان إبراهيم (ع) نجاراً كذلك، وكان داود (ع) - على غناه - حداداً يصنع الدروع السابغة، وكان زكرياً نجاراً، ويونس صياداً، وكل الأنبياء رعوا الغنم. رعى موسى (ع) غنم شعيب، وتعلمون من السيرة الشريفة أنّ الرسول محمداً (ص) عمل بالتجارة.

إنَّ تنوع الأعمال والقائمين عليها يوفر لنا مستلزمات الحياة الكريمة.

فلو امتنع الفلاح عن الزراعة لم نجد مانأكله، وكذلك جميع الحرف والأعمال فالنجار يهييء لنا مستلزمات السكن من الأثاث وكذلك الحداد وعامل البناء وعامل النظافة وغيرهم فجميعهم يتفضلون علينا وجميعهم موضع فخر واعتزاز، لأنهم سعوا إلى كسب رزقهم بشرف ومثابرة وحفظوا كرامتهم بالعمل.

ج- توفير فرص العمل من واجبات الدولة في الإِسلام:

إن الإِسلام يهيئ الفرص لكلّ الأفراد على وفق مبدأ تكافؤ الفرص، فالناس متساوون في الحقوق والواجبات، وفي تهيئة الفرص المتعادلة لكلّ أبناء الأمة العاملين، ويذلّل لهم سبل الحصول على العمل، ويعطي لكلّ مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة، ويفسح المجال أمامهم للمنافسة، والعمل على التفوق، كما يتيح لهم فرصاً متكافئة في الثقافة والمال والمتاع.

ويؤكد الإِسلام وجوب رعاية الدولة للمرافق التي تحت يدها، وفي توزيعها الأرض على القادرين على إعمارها وإستثمارها، وفي جعل المرافق العامة ملكية عامة لا يجوز لأحد الاختصاص بها، فالناس شركاء في النار والماء والكلأ والملح وسواها.. وفي إنشائها المصانع والاستثمارات المتعددة، وأهم من ذلك كله في منع اكتناز المال، ووجوب تشغيله وتوفير العمل لطالبيه، في كل ذلك ما يضمن توفير العمل للمواطنين ، فاذا لم تستطع الدولة توفير ذلك، أو أن مؤسساتها لم تفِ بتشغيل كلّ العاملين، وجب على الناس عدم التكاسل والركون إلى البطالة، بل وجب عليهم السعي إلى الأعمال الحرفية وإلى أي عمل مهما كان يسيراً ليحفظ الكرامة بعيداً عن ذَلِّ السؤال، كما يجب على الدولة - عندئذ - إعالة العاطلين من بيت مال المسلمين.

د- المساواة بين الرجل والمرأة في حقوق العمل وواجباته:

قرر الإِسلام المساواة بين الرجل والمرأة في حقّ العمل وواجباته، وفي أحكام علاقات العمل وأجوره بما تقتضيه العدالة الإِجتماعية، وكرامة الإِنسان وطبيعة المرأة والرجل الجسمية والنفسية.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧

وقال سبحانه:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ ﴿٣٢﴾ ﴾ النساء: ٣٢

وهذا التوازن الذي قرره الإِسلام بين حقوق المرأة وواجباتها إنّما هو هدم لما كان في الجاهلية من إلقاء أعباء ثقيلة من الواجبات والتكاليف على المرأة، في ذلك يقول عزّ من قائل:

﴿ لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٥

فالمرأة والرجل متساويان في الواجبات والحقوق وهما كذلك متساويان أمام القانون، وفي الحقوق المدنية، وفي حقِّ التعليم والثقافة، وفي حقِّ العمل وإدارة الوظائف والأعمال التي تتناسب وطبيعة جسمها، وحفظ كرامتها، وصيانتها من الابتذال.

هـ- واجبات العمال وحقوقهم:

العامل: هو كل من أدى عملاً شريفاً لقاء أجرٍ معين. قال تعالى في قصة سيدنا الخضر مع موسى (ع):

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ الكهف: ٧٧

قال رسول الله (ص): (من استأجر أجيراً فليسمِّ له أجرته).

وقد ثبت انه (ص) استأجر دليلاً للطريق، وحادياً للركائب.

هذه النصوص تثبت جواز الإِجارة للقيام بالعمل.

والأجير- في الفقه الإِسلامي- واحد من اثنين: أجير خاص، وأجير مشترك، ولاثالث لهما. فالأجير الخاص: من يقف وقته وجهده على صاحب عملٍ واحد أيّا كان مركزه، فقد يكون فرداً أو جماعة أو هيأة أو سلطة عامة.

والأجير المشترك: من يعرض مهارته وعمله أو خدماته على من يطلبها، وفي وسعِ الأجير المشترك أن يكون في خدمة جهات متعددة في وقت واحد كالخياط والحلاق والسائق وسواهم.

والعامل، سواء أكان أجيراً خاصاً أم مشتركاً، عليه واجبات وله حقوق.

فمن واجبات العامل في عمله، والموظف في دائرته وحدود مسؤولياتهم:

١- أن يتقن عمله، وأن ينشط في أدائه. جاء في الحديث الشريف: (أنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

٢- يُسأَل العامل عن كل تقصير أو إهمال. قال تعالى:

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ النحل: ٩٣

وفي ذلك وضع المسؤولية على عاتق المسؤول، وقد قال رسول الله (ص): (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). فالعامل مسؤول عن كل تقصير أو إهمال أو خيانة لأمانة العمل. أمّا الضرر الخارج عن إرادة العامل فهو غير مسؤول عنه.

٣- أن يكون العامل أميناً: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأنفال: ٢٧

فالعمل أمانة في عنق العامل. وكذلك الآلات والأجهزة التي يعمل بها. ومثل ذلك إفشاء أسرار العمل الواجب صونها. ومن ذلك الانتاج على نحو يخالف المواصفات، لأنّ فيه ضرراً بالمعمل وسمعته وسمعة العاملين.

٤- ألّا يشتغل العامل بعمل يضرّ بعمله الأول: ويرى بعض الفقهاء أنّ العامل إذا اشتغل بعمل يضرّ بعمله سقطت أجرة عمله. مثل أن يعمل نهاراً. ثم يعمل مساءً مما يقلّل من انتاجيته في عمله.

٥- أن يتعاون العامل ورئيسه في العمل وذلك بتقديم النصح اللازم لرفع الانتاج أو تحسينه أو صيانة الآلة. وقد روي أنّ الرسول (ص) قال: (الدين النصيحة).

إنّ الاستهانة بالوقت، والتباطؤ في العمل، والتمتع بالإجازات بغير حق كالاجازات المرضية الكاذبة وهي محرمة، كل هذه أمور مسؤول عنها العامل.

حقوق العمال

١- حقّ العامل في الأجر فلكلِّ عامل أجر، قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأحقاف: ١٩

فليس في الإسلام سخرة، ولا فيه عمل من غير أجر، اللهم إلا إذا تطوع العامل للعمل من أجل الثواب، قال رسول الله (ص): (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، و أحسبه كالقائم لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر).

٢- تحريم القسامة: حرَّم الإسلام مقاسمة العامل شيئاً من أجره نظير تقديمه العمل. قال الرسول الكريم (ص): (إيّاكم والقسامة). قلنا وما القسامة؟ قال: (الرجل يكون على طائفةٍ من الناس فيأخذ من حظِّ هذا وحظِّ هذا..).

٣- يُعطى العامل أجره بحسب ما بين العامل والجهة التي يعمل لها من عقد، يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً. ولا يجوز تأخير الأجر أو حبسه عن العامل. قال رسول الله (ص): (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه).

٤- كفاية الأجر: يوجب الإسلام أن يكون الأجر من الكفاية حتى يسع مطالب العامل الأساسية المعقولة، بما يعيله ويعيل أهله. وهذا لا يمنع من أن يكون الأجر مكافئاً للعمل الذي يؤديه العامل. استمعوا إلى هذه الحادثة:

شكا رجل خادمه إلى عمر بن الخطاب (رض). فلم ينكر الخادم وإنما اعتذر بعدم كفاية ما يأخذه، وبجشع صاحبه الذي يضنّ عليه بالأجر الكافي. فأقسم عمر بن الخطاب (رض) ليقطعن يد السيد إذا عاد الخادم إلى السرقة، وأمر أن يعطيه ما يكفيه.

٥- حقّ العامل في الحفاظ على كرامته بألاّ تهان بالكلام الخشن أو الضرب أو التهديد، أو الامتِهان.

٦- حقّ للعامل تقديم الشكوى والتقاضي: العامل مشمول بالضمان الاجتماعي، والدولة الإِسلامية تضمن له.

واليوم يحق للدولة أن تُشرع القوانين لتحديد ساعات العمل، وفرض الأجر المناسب، والزيادة المشجعة على العمل، والمكافآت عن الاتقان والابداع والتفوق، وبناء دور الصحة للعمال إلى جانب كلّ مصنع أو مزرعة. وضمان تعليم أبنائهم، ومعالجتهم وأسرهم، وفرض الفحص الطبي الدوري لمن يعملون في الأعمال الخطرة، وتغذيتهم ببعض الأغذية مجاناً حفظاً لصحتهم، مثل الحليب الذي يقدم إلى العاملين في أفران صهر المعادن وسباكتها.. وغير هذا من التشريعات التي تتفق وروح العدالة التي جاء بها الإِسلام.

المناقشة

١- أمر الله تعالى بالعمل وكذلك رسول الله (ص)، استشهد بآية تحثّ على العمل، وحادثة تبيّن حثّ رسول الله (ص) على العمل أو حديث شريف؟

٢- ما الذي يضمنه لنا تنوع الأعمال والحرف؟

٣- أوجب الله تعالى الكسب الحلال، فقطع الطريق على الذين يكسبون المال بالباطل والحرام، بيّن طرق الكسب المحرمة.

٤- عدد واجبات العمال فقط.

٥- عدد حقوق العمال.

٦- كان أنبياء الله وصفوته يأكلون من كدِّ أيديهم، استشهد على ذلك.

المؤمنون إخوة

لما أشرق فجر الإسلام بأنواره على البشرية استطاع بمبادئه السامية أن يجعل من أمة المسلمين خير أمةٍ أخرجت للناس، فأحلَّ الإيمان محل الكفر، والنظام محل الفوضى، والسلام محل الحرب، والعفو محل الانتقام، والتآخي محل الفرقة، وراح النبيّ (ص) يبني وينشئ أمة يسودها المحبة والوئام، ومما سعى إليه رسول الله (ص) مبدأ المؤاخاة بأسلوب فريد، حتى جعل أواصر العقيدة أقوى من أواصر النسب، ووشائج الإيمان تسمو على وشائج القبيلة والقومية، وغدا المسلمون أمة واحدة مرصوصة الصف لا تفرقهم النعرات والفوارق، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣

فقد جهد الإسلام في تعزيز التآخي الروحي وحماه من أنواع الفرقة والانقسام بما شرَّعه من دستور الروابط الاجتماعية في نظامه الخالد من ذلك أنه ألّف ما بين القلوب، ووحّد ما بين المشاعر والعواطف، وعقد أواصر الإخاء بين المسلمين. قال تعالى:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

فآخى بين المسلمين ورفع شعار الأخوّة العامة بين الأبيض والأسود، الغني والفقير،

إذ آخى رسول الله (ص) بين المسلمين مرتين، فمرة بين المهاجرين خاصة، وأخرى بين المهاجرين والأنصار في المدينة وذلك ليُذهب عنهم وحشة الغربة ويشدّ بعضهم أزر بعض وليزرع فيهم قيم الأخوّة، حتى أنهم كانوا يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، فلما عزَّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه قوله تعالى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ الأنفال: ٧٥

أي في الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة، وقال تعالى:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي
تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ الحجرات: ٩ - ١٠

وهذه الآية نزلت في جمع من الأنصار كان بينهما قتال بالأيدي.

والخطاب في هذه الآية عام لكلّ الأمة الإسلامية المؤمنة وقد أمرهم الله فيها بأوامر لو اتبعوها كما أمرهم الباري عزَّ وجل، لسعدوا جميعاً ولما قامت بينهم الحروب الطاحنة التي يذهب ضحيتها الألوف المؤلفة والأمر الأول هو أن يُصلح المؤمنون بين الفريقين.

وقد أكّد الإسلام الإصلاح وبيّن أهميته قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ الحجرات: ١٠

وقال (ص): ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة، إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة)).

وذلك لأن الإصلاح يؤدي إلى علاج كثير من الممارسات الخاطئة التي تفكّك أواصر الإخاء وتستأصل الوئام.

إنّ الأخوّة التي أشارت إليها الآية الكريمة هي أخوّة منتجة ، تترتب عليها آثار عملية بالفعل فيستشعر المؤمن جدواها وفعاليتها عن الأخوَّة الإيمانية فهي أخوة قائمة على أساس البرّ والتقوى والتعاون والتعايش السلمي.

قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

المائدة: ٢

فأقرَّ مبدأ التعاون فيما بينهم ، وقوله تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

فقد ذكَّر الباري عزَّ وجلَّ المؤمنين بنعمة الإخاء التي قلبت حياتهم الاجتماعية رأساً على عقب ونقلتهم من حالة الكفر والعداء إلى حالة الإيمان والإخاء وشبَّه رسول الله (ص) المؤمنين بالجسد الواحد فقال (ص): (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحُمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمّى).

كما بيّن رسولنا الكريم حقَّ الأخ على أخيه وواجبه تجاهه في أحاديث كثيرة منها: قوله (ص): (المسلمُ أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه).

وقال أيضا (ص): (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث).

فالمقياس الصحيح للأخوَّة هو ذاك المستند إلى الحقوق المتقابلة ، فكل إخلال بها سوف ينعكس سلباً على رابطة الإخاء وتحقيق علاقة غير سليمة بين الطرفين تؤدي إلى القطيعة والجفاء، قال رسول الله (ص) : (حقّ المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض وإتباع الجنائز وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس) .

وقال رسول الله (ص) : (من نَفّسَ عن أخيه كُربة من كُرب الدنيا نفس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة) وقوله (ص) :

(الله في عون العبد ما كان العبد في عونِ أخيه) .

وذكر الإِمام زين العابدين (ع) حقَّ الأخ في رسالة الحقوق فقال :

(وحقُّ أخيك أن تعلم أنـه يدُك التي تبسطها ، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزّك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوه والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه والإِقبال عليه في الله، فإِن انقاد لربّه وأحسن الإِجابة له، وإلّا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه) . فيكون سندك في الحقِّ وكذلك تكون أنت له، وتعينه على نفسه الأمّارة بالسوء وتنصحه وتعتمد عليه في الشدة.

فقد وجب الحبّ في الله والبغض في الله فقد قال (ص) : يقول الله تعالى(أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلّا ظلّي) .

فحبّ المؤمن لأخيه المؤمن في الله من كمال الإِيمان.

كما وجب على المؤمن أن يستشعر حال أخيه ويجعله بمنزلة النفس فيحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، قال (ص): (لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبَّ لنفسه).

فمن آثار الإِيمان وحبّ الله هو الحبُّ في الله وحبّ أهل الإِيمان وبغض الانحراف وأهله، قال الإِمام الصادق (ع) : لا يبلغ أحدكم حقيقة الإِيمان حتى يُحبَّ أبعد الخلق منه في الله، ويبغض أقرب الخلق منه في الله .

- الحقوق الستة المعروفة المذكورة في الحديث: ((حقُّ المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلّم عليه واذا دعاك فأجبه، واذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فَشَمّتَهُ، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)).
- اجتناب سوء الظن والتجسس والتحسس والتنافر والتحاسد والتباغض و التدابر: كما جاء في الحديث ((إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث ولاتحسسوا ولاتجسسوا ولاتنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا...)).
- اجتناب ظلم المسلم وخذله واحتقاره قوله (ص):

((المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولا يحقره)).

- التبسم في وجه المسلم قوله (ص):

((لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)).

- عدم إظهار الشماتة فيه قوله (ص):

((لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك)).

- أن يوسع له في المجلس وأن يدعوه بأحبِّ الأسماء إليه ثم يجلسه.
- الردُّ عن عرضه: ((مَنْ ردَّ عن عرض أخيه بالغيب رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)).
- إعانته ومواساته بالمال إذا احتاج إلى ذلك والسعي في حاجته والقيام بخدمتهِ.
- ألّا يمنَّ عليه بمعروفه إذا أعانه وواساه بالمال أو سعى في حاجته وقام بخدمته فإِن المنَّ يبطل الصدقة والمعروف قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٤ .

- أن يشكره على صنيعه: وقد جاء في الحديث الشريف قوله (ص): ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله)).
- زيارته لله وحبُّه في الله. ولابدَّ من التأدب بآداب الزيارة مثل اختيار الوقت المناسب والا تكون الزيارة سبباً في إضاعة الوقت بما لايفيد وغير ذلك من الآداب المعروفة.
- النفقة على الأخوان وبذلُ الطعام اليهم إذا قدِموا لزيارتك أو اجتمعت معهم في مكان ما.
- عدم التكلف والتكليف: إذا زارك أخوك فينبغي ألّاتتكلف له. لأن ذلك يترتب عليه أنك

ستتضايق من مجيئه مرة أخرى أو يتضايق أهلك بذلك، لأن مجيء هذا الأخ سيتعبهم أو يتضايق أخوك هذا لأنه لايريد أن يشق عليك بمجيئه، كذلك لو زرته أنت فلا تكلفه واطلب منه عدم التكلف .

- عدم إخلاف الموعد: لو تواعدتما في ميعاد معين فاحرص على أن تأتي في الموعد فإن إخلافك للموعد بعدم حضورك أو بحضورك متاخراً يضايق أخاك.
- أن يكون تعاملكما مبنياً على الأخلاق الحسنة وكل منكم يصبر على الآخر، وقد ساد بينكما التواضع والحلم والصدق والرفق والحياء وطلاقة الوجه والبشاشة عند اللقاء وغير ذلك من الأخلاق الحسنة.
- كتمان سره وستر عيبه وأن تساعده في إصلاحه.
- أن تؤثره على نفسك، فتؤثره في المجلس بأن تجلسه في المكان المناسب الذي قد ترغب فيه أنت كأن تتنازل له عن المتكأ ليتكىء هو، تؤثره على نفسك في الأكل والشرب والتقدم في اثناء ركوب السيارة وهكذا.
- مشاركته مشاعره بأن تحزن لحزنه وتفرح لفرحه ، إذا أصيب بمصيبة بادرت بمساعدته ومحاولة تخفيف وقعها عليه، وإذا سّره شيء بادرت إلى تهنئته وأظهرت الفرح والسرور بذلك.
- ألّا تقاطعه إذا تكلم بل تصغي إليه وتظهر له الاهتمام بكلامه .
- تُبلغه مدح الناس له ولا تبلغه ذم الناس له؛ لأن هذا يوغر صدره إلا أن يكون قد ذم لعيب فيه، فليتلطف بنصحه ومحاولة إصلاح هذا العيب .
- تقديم النصيحة له: سواء قصر في واجب أو ارتكب منهياً عنه يقدم له النصيحة ويلتزم آدابها من مثل النصيحة على انفراد وأن تكون بلطف وأسلوب حسن.

المناقشة

١ . استشهد بآية كريمة تحثُّ على الإصلاح بين المؤمنين .

٢ . كيف شبّه رسول الله (ص) المؤمنين في توادّهم؟

٣ . عدد عشرةً من حقوق الأخوة واشرح خمسةً منها مع الشاهد.

٤ . ما أثر غياب روح الأخوة في المجتمع؟

الوحدة الخامسة

الدرس الأول : من القرآن الكريم

سورة القصص من الآية (٢٣-٤٢) آيات الحفظ (٣٨-٤٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ
تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا
ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى
ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ
قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ
ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي
ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا
قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ
تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ

أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ
وَلَّىٰ مُدْبِرٗا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٖ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسٗا فَأَخَافُ أَن
يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ
أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٞ
مُّفْتَرٗى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ
مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا
عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةٗ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

صدق الله العلي العظيم

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
حجج :	سنين .
الأجل :	الموعد المحدد .
أنس :	أبصر بوضوح .
الطّور :	جبل في سيناء .
جذوة :	قطعة من الجمر .
تصطلون :	تستدفئون .
جان :	حية خفيفة سريعة الحركة .
يعقب :	يرجع .
أسلك يدك :	ادخلها .
من غير سوء :	من غير مرض كالبرص .
الرهب :	الخوف .
ردءاً :	عوناً .
المقبوحين :	المهلكين .

المعنى العام

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ
تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ ﴾

ولما وصل موسى ماء (مدين) وجد على البئر زحام من الرعاة يسقون مواشيهم، ووجد امرأتين منفردتين من زحام الرعاة تبتعدان عن الماء، لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، فرقّ لهما موسى وقال لهما : ما شأنكما ؟ فقالت إحداهما : لاطاقة لنا على مزاحمة الرعاة ولانستقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير لايقوى على سقاية الغنم .

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ فسقى موسى لهما غنمهما رحمة بهما، ثم تنحى جانباً فجلس تحت ظلّ شجرة، وقال: ربّ إني محتاج إلى ماتسوقه إليّ من أيّ خير، كالطعام، وكان قد أشتدّ به الجوع.

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

فجاءت إحدى الامرأتين اللتين سقى لهما إليه في حياء، قالت: إنّ أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا، فلما جاء أباها وقصّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له الأب: لا تخف لقد نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه، إذ لا سلطان لهم بأرضنا.

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ قالت إحدى الامرأتين لأبيها: يا أبت استأجره لرعي أغنامنا وسقايتها، إنّ خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخشى خيانته فيما تأمنه عليه.

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال الشيخ لموسى: إني أريد إن أزوجك إحدى ابنتي هاتين، على أنْ تكون أجيراً لي في رعي ماشيتي ثماني سنين مقابل ذلك، فإن أكملت عشر سنين فإحسان منك، وما أريد أن أشقّ عليك بجعلها عشراً، وستجدني إن شاء الله حسن المعاملة، لينّ الجانب ومن الصالحين.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ﴾

وقبل موسى (ع) أن يتزوج إحدى الفتاتين، ورضي الذي اختاره الشيخ، وقال موسى: إنّ ما قلته وعاهدتني عليه قائم بيني وبينك، وأيّ المدتين، الثماني أو العشر سنين، أقضيها في العمل فلا إثم ولا حرج عليّ، والله على ما نقول وكيل وشاهد على ما تعاهدنا عليه.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ ﴾

فلما أتمّ موسى المدة التي اتفقا عليها، سار بأهله إلى (مصر)، أبصر من بعيد ناراً تتوهج من جانب جبل الطوّر، قال موسى لأهله: تمهلوا فقد أبصرت ناراً عن بعد، لعلّي آتيكم منها بقبس، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها.

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ ﴾

فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أنْ يا موسى إنّي أنا الله رب العالمين، وأنْ ألقي عصاك، فألقاها فصارت حيّة تسعى، فلما رآها موسى تضطرب وتتحرك كأنها ثعبان سريع الحركة، ولّى هارباً منها، ولم يلتفت من الخوف، فناداه ربّه: يا موسى أقبل إلّي ولا تخف، إنك من الآمنين من كلّ خوف.

وأدخل يدك يا موسى في جيب قميصك، ثم أخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض، واضمم يدك إلى صدرك لتأمن من الخوف، فهذان - العصا واليد- دليلٌ قاطعٌ على صدقك، وهما آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومهِ وانها حُجةٌ قوية للطغاة المتجبرين والخارجين عن طاعتنا، المخالفين لأمرنا.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

قال موسى : ربّ إني قتلت من قوم فرعون نفساً، فأخاف أن يقتلوني، وأخي هارون، هو أفصح مني نطقاً، فأرسله معي عوناً يصدقني، ويبيّن لهم عني ما أخاطبهم به، إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم : إني أرسلت إليهم.

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قال الله لموسى : سنقوّيك بأخيك، ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه، فلا يصلون إليكما بسوء، أنتما - يا موسى وهارون - ومن آمن بكما المنتصرون على فرعون وقومه.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

فلما جاءهم موسى بالبراهين الساطعة، الدالة على صدق نبوّته، قالوا : ما الذي جئتنا به، من العصا واليد، إلّا سحر افتريته كذباً وباطلاً، وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه في آبائنا وأجدادنا الأولين.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال موسى : إنّ ما جئتكم به حقّ وليس بسحر، وربّي عالم بذلك يعلم أني محقّ وانتم مبطلون، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

وقال فرعون لأشراف قومه: ما علمت لكم من إله غيري، فاصنع لي يا هامان صرحاً عالياً، لعلّي أرى وأشاهد إله موسى الذي يعبده، ويدعو إلى عبادته، وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

واستعلى فرعون وجنوده في أرض (مصر) بغير الحق، وتكبّر عن الإيمان بموسى، وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون.

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

فأخذ الله تعالى فرعون وجنوده، فألقاهم جميعاً في البحر وأغرقهم فلم يبقَ منهم أحد، فانظر - يا محمد - كيف كانت نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهِّم وكذلك هو جزاء الظالمين جميعاً.

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

وجعلنا فرعون وقومه قادة وزعماء في الكفر، ويوم القيامة ليس لهم ناصر يدفع عنهم العذاب. وجعلنا اللعنة تلحقهم في هذه الحياة الدنيا من الله والملائكة والمؤمنين، وفي الآخرة هم من المبعدين المطرودين عن رحمة الله عز وجل.

أهم ما يُرشد إليهِ النص

١- ان اللّٰه عفوٌ غفور.

٢- استحباب إغاثة الملهوف.

٣- أَهمية محافظة المرأة على شخصيتها وحيائها.

٤- أَهمية العمل ووجوب الوفاء بالعهد والأمانة.

٥- تأييد اللّٰه تعالى لأنبيائه بالمعجزات.

٦- طغيان الإنسان مهما تعاظم فمصيره إلى زوال.

٧- ظلم فرعون وتجبره، ومن هم على شاكلته، وعلوّه وفساده في الأرض، هو صراع بين جند الرحمن، وجند الشيطان.

المناقشة

١- (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) و (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) :
اقرأ هذين النصين الكريمين ملياً، ثم أجب عن الآتي :

أ- أين موضع كلّ من هاتين الآيتين ؟

ب- ما تفسير كلٍ منهما ؟

جـ- ابحث في الفرق بينهما من حيث التركيب اللغوي.

٢- ما سبب إقدام نبي اللّٰه (شعيب) على تزويج إحدى ابنتيه لموسى (ع) ؟ (نشاط)

٣- تخيل شعور نبي اللّٰه موسى (ع) وهو يسمع نداء اللّٰه: يا موسى إني أنا اللّٰه ربُّ العالمين.

٤- (إنه لا يفلح الظالمون) ، اشرح الآية وبيان عاقبة عمل الظالمين في الدنيا والآخرة.

نزاهة الموظف

للشرح

استعمل النبي (ص) رجلاً من الأَزد يقال له ابنُ اللتيبة على صدقات بني سليم، فلما جاء إلى النبي (ص) وحاسبه قال: هذا الذي لكم وهذا أُهدي إليّ، فقام الرسول (ص) على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فأني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا هدية أُهديت إليّ ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً. والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئاً بغير حقّه إلّا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة . فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه فقال : اللّهم هل بلغت.

صدق رسول الله (ص)

معاني الكلمات

الكلمة:	معناها
استعمل:	أوكل اليه عملاً. وفي الحديث: أوكل إليه أموال الزكاة .
الرغاء:	صوت البعير .
الخوار:	صوت البقرة أو الثور .
تيعر :	تصيح. واليعار : صوت الشاة.

شرح الحديث الشريف

١- تُبتلَى الأمم في أيام محنتها وضعف نفوس أبنائها بكثير من الأمراض الاجتماعية التي تُضعفُ من شأنها وتقضي على نظامها وتقوِّض دعائم الأمن والطمأنينة فيها.

وإن شرَّ ما تصاب به الأمم تفشّي الرشوة فيها وامتداد يد الحكام إلى تناول ما ليس من حقِّهم، فلا ترى صاحب حقّ ينال حقّه إلّا إذا قدم هدية لمن عنده وسيلة الحصول عليها، ولاترى ذا ظُلامة يطمع في رفع ظلامته عنه إلّا برشوة من يقدر على رفعها.

٢- وفي هذا الحديث الشريف يضرب رسول الله (ص) مثلاً لمن تولّى الحكم في محاسبة عمالهم ومرؤوسيهم على ما ولَّوهم عليه، فلا ينامون عنهم ولا يتركونهم يجمعون الثروات ويبتزون أموال الناس، مستغلين مناصبهم في الإِثراء غير المشروع، ويسلطون أذنابهم وأتباعهم يظلمون الناس في جباية الأموال منهم بغير حقّ، ويتخذون من هؤلاء الأتباع وسطاء لابتزاز الرشوة والأموال، ترى الواحد منهم يتولى المسؤولية وهو فقير، فلا يلبث إلّا قليلاً حتى يصبح ثريّاً ذا مال كثير بما يقدم إليه من هدايا ورشاً يُتقى بها شره أويجتلب نفعه، ويكون من نتيجة ذلك انتشار الفساد في العمل الذي يتولاه، وضياع حقوق الناس وسريان روح الفوضى والاضطراب في النفوس.

٣- إنّ محاسبة الحكام والرؤساء مرؤوسيهم ومؤاخذتهم على ما يرتكبون من مخالفات تجعلهم حريصين على إقامة العدل بين الناس والسهر على راحتهم وقضاء مصالحهم، فينصرف الناس إلى أعمالهم تسودهم الطمأنينة ويعيشون في ظلِّ الأمن والسكينة.

٤- وقد حذّر رسول الله (ص) من سوء العاقبة لمن يأخذ مالاً لا حقَّ له فيه بأن يأتي يوم القيامة يحمل ما أخذه على كتفه فيفتضح أمره ويعرف عنه الخلائق ظلمه وجوره، وهو تصوير لما يلاقيه هؤلاء من الفضيحة والعار في الدنيا والآخرة.

أهم ما يُرشد إليهِ الحديث

١- من واجب الحكام والرؤساء أن يحاسبوا أنفسهم وموظفيهم وعمالهم محاسبةً دقيقة ولا سيما على المال الذي يزيد في ثروتهم مدة عملهم.

٢- يجب ألّايقبل من يتولى عملاً له علاقة بمصالح الناس شيئاً من المال لا على سبيل الرشوة ولا على سبيل الهدية، لكي يدرأ عنه الشبهات وتظلّ نفسه في سكينة وطمأنينة.

٣- الموظف خادم وأمين على عمله ويجب أن يوقف جهوده على المصلحة العامة، فإن استغل منصبه ونفوذه لتحقيق منفعة شخصية فقد قصّر في مسؤوليته وخان الأمانة وأضرَّ بمصالح الناس.

٤- ومن المفيد أن نذكر هنا أن سوء عاقبة أخذ الهدية أو الرشوة المحرمة لا يصيب فقط من يقبلها، وإنما يصيب من يعطيها ومن يكون واسطة بين الاثنين كذلك، وفي هذا يقول (ص): (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش). والرائش: هو الوسيط بين الراشي والمرتشي.

المناقشة

١- ما نتيجة انتشار الرشاوى في المجتمع؟

٢- ما عاقبة من يأخذ مالاً لا حقَّ له فيه يوم القيامة؟

٣- ماواجب الحكام تجاه موظفيهم إذا ما رأوا أنهم قد أثروا ثراءً غير مشروع؟

٤- (قبول الموظف الهدية ضرب من ضروب الرشوة) ما أثر ذلك في أمن المجتمع وتقدمه؟

٥- (استغلال الموظف منصبه في الإثراء غير المشروع يؤدي إلى تقويض دعائم المجتمع وقيمته) ما واجب الحاكم لمنع ذلك؟

٦- متى تُعدّ الهدية رشوة؟

ذو القرنين

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الكهف: ٨٣ - ٨٨

سئل النبي محمد (ص) عن ذي القرنين ما شأنه، وما قصته؟ فأنزل الله على رسولهِ من نبأه وخبره قرآناً ووحياً.

و(ذو القرنين) هو عبد صالح ملَّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة والسلطان وسُمي ذي القرنين لبلوغه المشرق والمغرب، فكأنه حاز قرني الدنيا، وقد يسّر الله له أسباب الملك والسلطان والفتح والعمران، وأعطاه الله سبحانه كلّ ما يحتاج إليه للوصول إلى غرضه، من أسباب العلم والقدرة والتصرف والإلهام القلبي الذي يمنحه الله لغير الأنبياء قال

تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ الكهف : ٨٤

وذلك عندما قام بثلاث حملات عسكرية مظفرة.

المرحلة الأولى:

شقَّ ذو القرنين طريقه نحو المغرب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي أنه انتهى إلى مكانٍ مغمور بالمياه المحمّلة بالطين الأسود، ورأى الشمس تغرب هناك، وهذا يدلُّ على أنه وصل إلى شاطئ مياه تغمر مساحة واسعة من الأرض، ولذلك رأى الشمس كأنها تغرب فيها.

والأية تدلّ على أن لذي القرنين جيشاً جرّاراً وقدرة مالية ووسائل نقل وأرزاقاً متوافرة إلى غير ذلك مما تتوقف عليه تلك الرحلات العسكرية بواسطة المواصلات الرائجة في ذلك العصر. فلما وصل إلى البلاد التي تقع عندها هذه العين، ترك له سبحانه -كما هو ظاهر الآية- حرية معاملة أهلها:

﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ ﴾

وكل ذلك كان من قبيل الإلهام القلبي الذي يمنحه سبحانه لغير الأنبياء وان الله سبحانه وتعالى خيرّه بين تعذيبهم والإحسان إليهم، ولم يكن التعذيب مختصاً بالمشركين بل يعم المفسدين ولذلك زاد الإيمان العمل الصالح وقال:

﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾

فشرط العمل الصالح وراء الإيمان (سنقول له من أمرنا يسرا) أي نعامله بالحسنى قولاً وعملاً.

المرحلة الثانية :

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾

لما أتمَّ ذو القرنين رحلته الأولى وبلغ مقصوده وغايته، بدأ برحلة أخرى تقابل الأولى أي رحل إلى جهة المشرق، فوجد هناك أناساً، وصف تعالى حالهم بقوله:

﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾

أي من دون الشمس، فيظهر أن الأرض كانت صحراوية قاحلة وكان أهلها يعيشون فيها عيشة بدائية. فلم يعرفوا بناء البيوت التي تؤويهم وتحجبهم عن الشمس. ويمكن أن يقال إنه يحتمل أنه تركهم بحالهم فلم يكونوا ناضجين من ناحية الفكر والعقل لعدم فهمهم للقول.

المرحلة الثالثة :

ولما أتمَّ ذو القرنين رحلته إلى الشرق والغرب، ذكر القرآن الكريم رحلة ثالثة له وهذا ما تشير إليه الآيات التالية: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ شرع ذو القرنين هذه المرة برحلة ثالثة، وسلك طريقاً

لم يحدد القرآن الكريم اتجاهه، لأن هدف القرآن الكريم يتعلق بالقصة نفسها لا بخصوصياتها.

وصل ذو القرنين الى مكان يقع بين جبلين منيفين. ووجد قريباً منهما أمة من الناس يصعب التفاهم معهم. لبساطتهم وسذاجة فهمهم أو لغرابة لغتهم طلب هؤلاء القوم من ذي القرنين -لما رأوا ما معه من القدرة والعدد والقوة والعظمة- أن يُحدث لهم سدّاً بين الجبلين، ليحول دون إغارة يأجوج ومأجوج عليهم من خلال هذا المضيق مرة بعد أخرى:

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾

وهذا يدلُّ على أنه كان بين هؤلاء القوم والمفسدين سلسلة جبال شاهقة لا يمكن تسلقها خصوصاً بدوابهم ومراكبهم للإغارة، ولكن كان هناك مضيق بين الجبلين يسهل لهم العبور إلى أراضي الآخرين والإغارة عليها من خلاله، ومن هنا اقترحوا على ذي القرنين أن يسدَّ لهم هذا المضيق، في مقابل مبلغ من المال يدفعونه إليه.

استجاب ذو القرنين لاقتراحهم معرباً عن استغنائه عن المال الذي عرضوه عليه، قائلاً: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾

أي: ما أعطاني الله من السلطان والمال خير من المال الذي تريدون بذله، لكن يجب عليكم المشاركة بشكل آخر ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ والمراد بالقوة العمال وأدوات البناء ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ حاجزاً حصيناً.

ثم بدأ بالعمل ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ ﴾ وقاموا بقطع الحديد ثم إشعال النار فيه ثم أذاب النحاس فصبَّه على الحديد المسخن لكي يتماسك ويزيد صلابة فصار سداً منيعاً. وهذا يدلُّ على تقدم الحضارة آنذاك وهكذا عجز المفسدون (يأجوج ومأجوج) عن تسوّر السد والصعود عليه ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾ كما عجزوا عن خرقه والنفوذ منه ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ ثم أشار ذا القرنين بعد انجاز السدّ إلى أمرين.

١- وجَّه فكرهم إلى أن العمل رحمة من الله سبحانه وتعالى ونعمة منه أجراها على يده وهذا يدلّ على كونه مؤمناً متواضعاً شاكراً الله تعالى - فلم يغترّ بإنجازه لهذا العمل ولم يفتخر به بل نسبه إلى الله سبحانه وتعالى و قال:

﴿ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي ﴾.

٢- إنّ لكلّ شيء أجلاً حتى الأبنية الشاهقة والسدود المحكمة، فلها عمر محدود وتنتهي بعده وتزول من الوجود، قال تعالى:

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ﴾.

أهم الدروس والعبر

١- أَن الله سبحانه خلق العالم على نظام الأسباب والمسببات، وجعل لكلّ ظاهرة سبباً وعلّة.

٢- أَن على الحاكم الصالح أن يتبع نظاماً عادلاً يحظى فيه المؤمنون الصالحون العاملون خيراً بالتكريم والتقدير والإحسان ويلقى فيه الشريرون والمسيئون الإهانة والإذلال والعقاب.

٣- أن الحاكم الصالح يجب أنْ يسخّر نفسه لخدمة الرعية ولا يمنعه تخلفهم وقلة فطنتهم عن توفير مصالحهم وتحقيق منافعهم.

٤- أنّ الأرض والأمان من نِعَم الله الكبرى ومن شروط الحياة الاجتماعية السالمة.

٥- يرشدنا عمل ذي القرنين إلى أنّ الاتقان في العمل وإحكامه هو المطلوب.

٦- أَن الإِنسان المؤمن يَشعُر بفقره إلى الله تعالى مهما بلغ من القدرة والعظمة ويشعر بأنّ ما ينجزه من أعمال كبيرة، لا يستند إلى قدرته المحدودة وإنْ بدتْ عظيمة في مقياس البشر، بل إلى قدرة الله المطلقة التي أفاضت عليه بالنعم وشملته بالألطاف.

المناقشة

١- لماذا سمي بذي القرنين؟ ومن وهبه الأسباب؟

٢- عن أيّ طريق كان الخطاب لذي القرنين مع العلم أنه لم يكن نبياً؟

٣- ذو القرنين، ضَرَب مثلاً في النزاهة والتوكّل على الله، بّين ذلك، واستشهد عن ذلك بآية كريمة.

٤- ما الغاية من طلبهم إلى ذي القرنين، بناء السدّ؟

المعاملات المحرّمة

لقد ربّى الإسلام في نفوس معتنقيه، أدب التزام تعاليمه، والرقابة التي يشعر المسلم من خلالها أن الله مُطّلع عليه، ولا تخفى عليه خافية، ولا يغفل عنه طرفة عين مما يوجب على المسلم الخشية من الله تعالى والخوف من عقابه ومراقبة أعماله، فيعصمه ذلك عن مخالفة شرعه والتزام أوامره ومنها السعي إلى الكسب الحلال والابتعاد عن الحرام والمعاملات المحرّمة. إن المال الحرام إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه. أمّا الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير والميتة، وكل ما يزيل العقل أو يزيل الحياة فمزيل العقل الخمر وسائر المسكرات، ومزيل الحياة السموم، ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها. وإما ماكان لخلل في جهة اكتسابه نحو الربا والقمار والسطو وغيره، فمن اكتسب ماله عن طريق هذه الأمور فقد أذِن بحربٍ من الله تعالى وعقابه؛ وذلك لما يُلحقه من ضررٍ بالناس وإساءة إليهم، كالتعامل بالربا، أو أخذ الرشاوي، أو الغش التجاري أو السرقة أوالسطو على أموال الناس وممتلكاتهم وأكلها بالباطل والغشّ والغبن والاستغلال، والخداع، والقمار أو الحرابة – أي قطع الطريق وتسليب الناس – وبيع ماهو محرّم كالخمر والمخدرات وما انتهت صلاحيته من طعام ودواء وجميع حالات أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

وقال رسول الله (ص) : « كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .

وقد عدّ القرآن الكريم كسْب المال عن هذا الطريق بالباطل قتلاً وضياعاً لمَن قام بهذا الكسْب لما سيناله من عقوبة عاجلة وأخرى آجلة. ولذا تُعَقِّب الآية بقول الله جلّ شأنه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾النساء: ٢٩

ويحثُّ الإِسلام دائمًا على العمل الجاد المُثْمِر، ويأمر بتحرِّي الحلال في الكسْب والابتعاد عن الشبهات.

لقد حدّد الإِسلام الطرق السليمة التي يكسب منها المسلم ماله والطرق المشروعة لاستثمارالمال ومنعه عما وراء ذلك. ومن المعاملات المحرمة:

١. الربا: لقد حرّم الإِسلام الحصول على الثروة عن طريق الربا تحريماً باتاً وجعلها من الكبائر وتوعّد مرتكبيها بحربٍ من الله ورسوله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٥ - ٢٨٠

هذا في الدنيا أمّا في الآخرة فعقابه أشدّ وخزيه أكبر ومهما كان نوع الربا ومقداره فهو حرام لايجوز تملكه؛ وذلك لما يخلّفه من آثار في الفرد والمجتمع كالتضخم وارتفاع الأسعار وزيادة معدلات الفقر.. وفي مقابل ذلك حثّ الله تعالى الدائنين على التسامح اتجاه

المدينين الذين لايستطيعون أَداء الدين في موعده ، بتمديد الأجل أو بالتنازل عن الدين

أو بجزء منه ، من دون مقابل قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة : ٢٨٠

٢ . استغلال النفوذ : حرّم الإسلام استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وحرّم تملك مايأتي عن هذا الطريق وأجاز لولي الأمر مصادرته وضمّه إلى بيت مال المسلمين لإنفاقه في المصالح العامة على المحتاجين منهم ، وهو بذلك أول تشريع سنّ قانون الكسب غير المشروع ونفّـذ قانون (من أين لك هذا ؟)

٣ . الرشوة الظاهرة : محرمة ، وهي التي تقدم إلى الحكام وذي النفوذ لتحقيق نفع مادي أو لتيسير الاستيلاء على أموال الناس بالباطل .

٤ . والرشوة المستترة : محرّمة أيضا : وهي التي تتمثل في هدايا تقدم إلى الحكام والموظفين لتحقيق غرض غير مشروع أو تسيير معاملة .

٥ . الغش في المبيعات : حرّم الإسلام الغش في المبيعات وإخفاء عيوبها قال رسول الله (ص) : (من غشّ أمتي فليس مني) وقال (ص) : (ليس منّا من غشنا) . وقال (ص) : (البيعان بالخيار مالم يفترقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا مُحقت بركةُ بيعهما) ، كذلك حرّم الغُبن الفاحش وهو الخداع في البيع .كأن يبيع البائع الشيء بأكثر مما يساوي أوبأقل مما يساوي بفارق كبير وقال (ص) : (إذا بايعت فقل لاخلابة) أي لاخداع .

٦. التدليس: حرّم الإسلام التدليس في البيع، وهو أن يكتم البائع العيب الذي في السلعة على المشتري مع علمه به، أو يغطي العيب عنه بما يوهم المشتري أنَّ السلعة سليمة من العيوب، أو يوجّه السلعة بإظهار أنها حسنة كلها، أما التدليس من جانب المشتري فبأن يزيف العملة، أو يكتم مافيها من زيف مع علمه به.

٧. السحت: حرّم الإسلام أكل السحت من المال، وهو المال الحرام قال رسول الله (ص): (لايدخل الجنة، لحم نبت من السحت، ومن نبت لحمه من السحت كانت النار أولى به)، ومن السحت أن يبيع المسلم ماحرّمه الله كالخنزير والخمر فكما حرّم الله تعاطيها حرّم كسب المال ببيعها قال تعالى:

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

المائدة: ٦٢

وكذلك حرّم مايربحه المقامرمن طريق القمار.

٨. التطفيف: حرّم الإسلام التطفيف في الكيل والميزان، وهو التقليل منه، قال تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

المطففين: ١- ٦

ويقصُّ علينا القرآن الكريم قصة أصحاب الأيكة الذين كانوا يطفّفون الكيل والميزان فأرسل الله إليهم شعيبا لهدايتهم وينهاهم عن ذلك، فلم ينتهوا، فأهلكهم الله بذنوبهم وأعدّ لهم عذاباً أليماً في الآخرة.

٩. **السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم:** السحر من الكبائر وهو عزائم ورقى وعقد يؤثِّر في القلوب والأبدان، فيمرِّض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

البقرة: ١٠٢

لذا وجب التعوذ بالله من شرّ النفاثات في العُقد. وأمّا التنجيم أومايسمى بالأبراج: فهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، قال رسول الله (ص): «من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد». وأمّا الكهانة: فهي ادعاء علم الغيب كالضرب بالحصى وادعاء علم الغيب وقراءة الكفّ والفنجان، وجميع هذه الأعمال محّرمة وكلّ مال يكسب من خلالها محرم أشدّ التحريم وأثم من يذهب إلى ساحر أو عراف! قال النبي (ص):

(مَنْ أَتَى عَـرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَل لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

١٠. الاحتكـار: حرّم الإسلام احتكارالضروريات للتحكم في أسعارها، وفي هذا يقول (ص): (مَنْ احتكر طعاماً أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه).

وحكم الاحتكار مصادرة المال المحتكر وبيعه بالمثل وتسليم الثمن إلى صاحبه، وقال (ص): «من احتكر طعاماً يريد أن يغلي بها على المسلمين، فهو خاطئ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله» والقاعدة الإسلامية التي تخضع لها جميع المعاملات هي قول رسول الله: (لاضرر ولا ضرار).

مما تقدم تتبين لنا صور المعاملات والكسب الحرام ، فحريّ بنا التزام أوامر الله تعالى باجتناب هذه المعاملات وهذا الكسب المحرم، لما فيه من ضرر كبير على المجتمع فيشيع الفقر والطبقية وارتفاع الأسعار والضغينة والعداوة والفساد، كما يضرّ بصاحبه فينال عقاباً عاجلاً في الدنيا وحربا من الله تعالى ورسوله في الآخرة.

المناقشة

١. ما الذي يترتب على الخشية من الله تعالى والخوف من عقابه ومراقبة أعماله؟

٢. (المال الحرام إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه)، وضّح معنى ذلك.

٣. مامعنى كلّ من الكهانة والتنجيم؟ وماحكم المال المكسوب بالعمل بهما ؟

٤. لقد كان أصحاب الأيكة ممّن يأكلون المال الحرام ، بيّن نوع كسبهم.

٥. عدد عشراً من طرق الكسب المحّرمة، واشرح خمساً منها مع الاستشهاد على حرمتها من القرآن الكريم أو السنة المطهرة .

٦. ماحكم الاحتكار ؟

الدرس الخامس: التهذيب

الإسلام يخرجنا من الظلمات إلى النور

أشرق فجر الإسلام بنوره وعقيدته السمحة ومبادئه السامية ليزيح غياهب الظلمات ويخرج الناس من عتمة الكفر والعبودية، إلى نور الرحمة والعدل الإلهي، ومما تجدر الإشارة إليه أن أعداء الإسلام يسعون بشتى الطرق إلى تشويهه من خلال تصويره دين حرب ودماء وعبودية شجعهم على ذلك تصرفات أدعياء الإسلام من المأجورين لتشويه صورته السمحة، لذا كان لابدّ لنا من أن نعرض عليكم - طلبتنا الأعزاء - بعضاً من سمات المجتمعات في الجاهلية ونقارن بينها وبين ماجاء به الإسلام لردّ شبهات الأعداء إلى نحورهم.

اتسمت مجتمعات ماقبل الإسلام (الجاهلية) بما يأتي:

أولا: الضلال العقائدي. فكانت عباداتها على النحو الآتي:

أ. **عبادة الأصنام:** وتتمثل بتقديسها والتقرب إليها بالنذور وتقديم القرابين لها، وتعدّ مكة من أهم مراكز عبادة الأصنام في الجزيرة العربية آنذاك، كما تعدّ قريش إلا بني هاشم أهم قبيلة عربية تدعو إلى عبادة الأصنام.

ب. **عبادة الملوك:** وتتمثل بتقديس أوامرهم وجعلها دينا وقانونا يؤخذ به سواء كانوا أحياءً أم أمواتًا، وتعدّ المدائن في العراق عاصمة الفرس الساسانيين الزرادشيين، من أهم مراكز عبادة الملوك آنذاك.

ج . عبادة الأحبار (علماء اليهود) والرهبان (علماء النصارى) : وتتمثل بتقديس أوامرهم وتشريعاتهم أحياء وأمواتاً مع وضوح مخالفتها لكتب الله وسنن أنبيائه، وتُعَدُّ يثرب واليمن والكِفْل قرب الحيرة في العراق آنذاك من أهم مراكز اليهودية، وكذلك كانت نجران والحيرة والشام والحبشة من أهم مراكز النصرانية.

د . عبادة الشهوات من الأموال والنساء والأولاد : فكانوا أُسارى لشهواتهم ورغباتهم دون ضابط، مع شحٍّ وبخل شديد، وكان الرجل يتزوج من النساء قدر مايشاء، ويعيشون مع النساء من دون قيد والتزام ديني وأخلاقي.

جاء الإسلام ليُحرر الإنسانية من عبادة الطاغوت والحجارة إلى عبادة سامية، عبادة القادر الواحد الأحد الذي يستدل عليه بعظمة خلقه وقدرته التي يعجز عنها جميع خلقه قال تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ يونس: ١٠٥

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة: ١٦٣

وحرر الإنسان من الخضوع إلى عبودية السلطان فأمر بأعظم الجهاد فقال رسول الله (ص) : (أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)، وحرره من عبودية المال فأمر بالإنفاق والصدقة ليهذب النفوس ويسدّ حاجة المحتاجين، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

وحرّر الإنسان من عبودية الشهوات فأمر بالتزويج، وحرَّم الزنا فأبعد رقَّ السفاح. فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الإسراء: ٣٢ ، وقال رسول الله (ص): (من استطاع الباءة منكم فليتزوج). وحرَّم الله تعالى الزنا لما له من آثار وخيمة في الأبناء والأنساب والأعراض ومخاطر على النفس.

ثانياً: الضلال الاجتماعي

الذي تمثل بصور شتى منها:

١- كثرة الحروب والاقتتال لأتفه الأمور:

فكانت حياتهم تتسم بالقسوة والغلظة والتقاتل فلقد كان الناس في الجاهلية قبل الإسلام قبائل متنازعة متناحرة، لا همَّ لها إلّا المفاخرة والتعالي بعضهم على بعض، تشتعل الحرب بينهم لأتفه أمر، وقد تستمر الحرب بينهم لعشرات السنوات لأجل ناقة - على سبيل المثال - كما حصل في حرب البسوس التي استمرت أربعين سنة بين تغلب وبكر؛ لأن كليب بن ربيعة التغلبي قتل ناقة البسوس، خالة جساس بن مرّة الكلبي.

وحرب داحس والغبراء التي كانت بين قبيلتي عبس وذبيان، لخلاف على سباق خيل بين فرسين - وهما داحس والغبراء - واستمرت هذه الحرب أربعين سنة أيضاً.

في حين جاء الإسلام يأمر بالسلم والسلام ودفع الظلم قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨

وحرّم الله تعالى الدماء، وأوجب القصاص على القاتل ليكون رادعاً.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣

وقد قال رسول الله (ص) في حجة الوداع: (إنّما دماؤكم حرام كحرمة يومكم هذا).

فشعَّ نور الإسلام في قلوب أولئك القوم وقلب أفعالهم وأقوالهم رأساً على عقب فاستيقظوا بعد الضلالة والعمى، وأدركوا أن التآخي في الله ليس مجرّد شعار في كلمة يجرونها على ألسنتهم وتتناقلها أفواههم وإنما هو حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة، وبكل أوجه العلاقات القائمة من تعاون وتناصر، وتناصح وإيثار ومحبة، وقد قام بتطبيق ذلك تطبيقاً عملياً كل من المهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، ثم تبعهم على ذلك عامة المسلمين على درجات متفاوتة.

٢- وأد البنات وقتل الأولاد

وصل الفساد في الجاهلية إلى أن يعادي الإنسان منهم ابنته، فلذة كبده، فيقتلها موالاة لعرف بعض القبائل، ولكسب رضا العشيرة والقبيلة، وخوفا من شماتتها وعدائها أو خوفاً من العار أو الفقر، فجاء الإسلام ليمحو هذا الظلم فحرَّم وأد البنات، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ التكوير: ٨

ولم يقتصر قتلهم على البنات بل شمل الذكور أيضاً، يدفعهم الفقر إلى ذلك، فجاء الإسلام ليحرَّم هذا الفعل الشنيع ويطمئن الناس بأن الله تعالى سيرزقهم ما يسدّ حاجاتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١

٣- نظرتهم الدونية للمرأة :

فقد حرموها من أبسط حقوقها فكانت النساء تعاني من الاذلال والقهر، من ذلك ما أشار اليه القرآن الكريم في سورة الانعام قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩ ﴾ الأنعام: ١٣٩

فهذه الآيات تبيّن بشاعة أعمالهم ومعتقداتهم فحتى الطعام كانوا يحلونه لأنفسهم ويحرّمونه على النساء.

فمن صفحات العار على البشرية، أن تعامل المرأة على أنها ليست من البشر، فلم تمر حضارة من الحضارات الغابرة، إلاّ وسقت المرأة ألوان العذاب، وأصناف الظلم والقهر.

فعند الإغريق قالوا عنها: شجرة مسمومة، وقالوا: هي رجس من عمل الشيطان، وتباع كأيّ سلعة متاع.

وعند الرومان قالوا عنها: ليس لها روح، وكان من صور عذابها أن يصب عليها الزيت الحار، وتسحب بالخيول حتى الموت.

وعند الصينيين القدماء قالوا عنها: مياه مؤلمة تغسل السعادة، وللصيني الحق أن يدفن زوجته حيّة، وإذا مات حقّ لأهله أن يرثوه فيها.

وعند الهنود القدماء ايضاً قالوا عنها: ليس الموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة، بل وليس للمرأة الحقّ عند الهنود أن تعيش بعد ممات زوجها، بل يجب أن تحرق معه.

وعند اليهود قالوا عنها : لعنة لأنها سبب الغواية، ونجسة في حال حيضها، ويجوز لأبيها بيعها.

حتى أن الفرنسيين عقدوا مؤتمراً للبحث : هل تعدُّ المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ ! وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟

وأخيراً قرروا أنَّها إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب. وأصدر البرلمان الإنكليزي قراراً في عصر هنري الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي كتابهم المقدّس؛ لأنَّها نجسة.

وعند العرب في الجاهلية قبل الإسلام كانت المرأة تبغض بغض الموت ، بل يؤدي الحال إلى وأدها، أي دفنها حية أو قذفها في بئر بصورة وحشية مؤلمة تذيب القلوب الميتة.

تحرير المرأة

ثم جاءت رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء ، بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح، لتخلق حياة لم تعهدها البشرية في حضاراتها قطّ ..

جاء في قوله تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨

جاء في قوله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء : ١٩

جاء في قوله تعالى :

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٦

جاء في قوله تعالى :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴿٦﴾ ﴾ الطلاق: ٦

جاء في قوله تعالى :

﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴿٧﴾ ﴾ النساء: ٧

وجاء الرسول الكريم (ص) ليبين لنا مكانة المرأة.

فهو القائل (ص):

((استوصوابالنساء خيراً))

وهو القائل (ص):

((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))

وهناك الكثير والكثير من الأدلة والبراهين على أن الإِسلام هو المحرر الحقيقي لعبودية المرأة، أما الأدعياء الذين يصورون الإِسلام قيَّد المرأة بالحجاب، فهذا هراء وانما أمر الإِسلام بالحجاب.

محافظة عليها من ضعاف النفوس خوف تعرضهم لها بالقول والفعل السيّئ الذي

يجرحها، ومحافظة على أنوثتها وعفتها وخجلها قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (الاحزاب: ٥٩)

لقد حفظ الإسلام حقوق المرأة جميعاً في المعيشة والكسوة و في معاقبة من رماها بالفاحشة، من غير بيّنة بالجلد وحفظ حقها في الميراث. أمّا مايثيره الأعداء عن كون الإسلامّ أقرّ لها نصف ما للرجل، فإنّ ذلك جاء لأن المرأة غير مسؤولة شرعاً عن الإعالة والرجل هو المسؤول عن التكفّل بأمرها، والانفاق عليها.

جـ- المعاملات المحرّمة

فقد سادت في تلك المجتمعات ما قبل الاسلام المعاملات الربوية والغزو والغارات واستباحة الحرمات والسرقة والمقامرة من دون رادع وقد حرَّمها الإسلام جميعا. إن المقارنة بين معالم الضلال في تلك المجتمعات وماجاء به الإسلام لايمكن حصرها، لذا يتيبن لكم - طلبتنا الأعزاء- من هذا القليل عظمة الإسلام الذي يأمر بالعدل والإحسان والرحمة والإيثار والسلم، كما يتضح لكم زيف ادعاءات أعداء الاسلام. وإنّ أكثر الإساءات إلى الإسلام وتشويه صورته ناجمة عن سلوك من يدعي الانتساب إليه دون الالتزام بمنهجه كَمَن يقتل ويقطع الطريق ويستبيح الحرمات فهؤلاء ليسوا من الإسلام والإسلام منهم براء، كما تفعل داعش والقاعدة وغيرها من الحركات التكفيرية، المدعية للاسلام زوراً وبهتاناً، وهي أبعد ما تكون عن خلق الاسلام وسيرة رسوله الكريم.

المناقشة

١- تعددت أشكال العبودية في المجتمعات التي سبقت الإِسلام ، بيّن ذلك، وبيّن ماجاء به الإِسلام.

٢- اذكر أشكال الضلال في مجتمعات ما قبل الإِسلام وتحدّث عن أحدها.

٣- بيّن نظرة المجتمعات السابقة للمراة، ونظرة الإِسلام لها .

٤- هل الإِسلام ابتدع الحروب؟ أو هذب النفوس ؟ وضّح ذلك .

٥- هل كانت العرب تقتل الذكور من الأبناء أو البنات فقط؟ وضّح ذلك، واستشهد بآية كريمة.

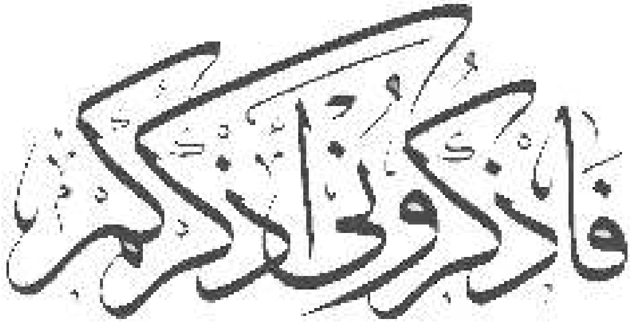

المحتــــــــويات

مقدمة ٣

احكام التلاوة ٤

الوحدة الاولى

أولاً : من القرآن الكريم : المؤمنون ٨

ثانياً : من الحديث النبوي الشريف : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٩

ثالثاً : من قصص القرآن : النبي يحيى بن زكريا (ع) ٢٢

رابعاً : الأبحاث : الشهيد ٢٨

خامساً : التهذيب قصص وعبر ١- الكفاف ٣١

٢- حب الدنيا وعبادة الطاغوت ٣٢

٣- حتى لا ينسكب الحليب ٣٤

الوحدة الثانية

أولاً : من القرآن الكريم : المؤمنون ٣٥

ثانياً : من الحديث النبوي الشريف : حق الصديق والجار ٤٠

ثالثاً : من قصص القرآن : أصحاب السبت ٤٣

رابعاً : الأبحاث : حقوق الاولاد والابوين ٤٦

خامساً : التهذيب : آفات اللسان ٤٩

الوحدة الثالثة

أولاً : من القرآن الكريم : المؤمنون ٦٢
ثانياً : من الحديث النبوي الشريف : وجوب المجاهرة بالحق ٧١
ثالثاً : من قصص القرآن : سليمان بن داود (ع) ٧٤
رابعاً : الأبحاث : دور المرأة في المجتمع ٧٩
خامساً : التهذيب : أدب الإختلاف ٨٧

الوحدة الرابعة

أولاً : من القرآن الكريم : القصص ٩٠
ثانياً : من الحديث النبوي : المفلس في الإخرة ٩٨
ثالثاً : من قصص القرآن : نبي الله أسحاق (ع) ١٠٣
رابعاً : الأبحاث : العمل في النظام الإقتصادي الإسلامي ١٠٥
خامساً : التهذيب : المؤمنون أخوة ١١٥

الوحدة الخامسة

أولاً : من القرآن الكريم : القصص ١٢٢
ثانياً : من الحديث النبوي الشريف : نزاهة الموظف ١٣٠
ثالثاً : من قصص القرآن : ذو القرنين ١٣٣
رابعاً : الأبحاث : المعاملات المحرمة ١٣٩
خامساً : التهذيب : الإسلام يخرجنا من الظلمات إلى النور ١٤٦